نفحة الأزهار

في سيرة الخمسة الأطهار

سعيد اليامي

نفحة الأزهار

في سيرة الخمسة الأطهار

تجميع وتأليف

سعيد اليامي

سيرة الرسول الاعظم محمد ﷺ

ما كانت الجزيرة العربية بل الإنسانية يوماً بأحوج منها إلى موعد كالموعد الذي وافاها به هذا الفجر البازغ من اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الموافقة لعام الفيل، لقد تمت مع هذا الصباح الأبلج ولادةُ طفلٍ سوف يعجن الجزيرة بعضها ببعض، وليطل بها على العالم أفقاً تتوزع عليه قبب المنائر، ونما الفتى ونمت معه غُلفُ الأسرار ونما معه السكون، وعمق السكون، وأخذ يستقطب إليه النظرات، لقد اشتدت حوله علائم الاستفسار: هل هو عاصفةٌ تسير من بعيد؟ أم أنه هدوءٌ يحوم في عاصفة؟ أم سحاباً يتكاثف؟ لقد شب الفتى لقد أصبح غزير الرؤى، عميق الغور، بعيد اللفتات، لقد أصبح تتفتق خلف جبينه أثقال المجاني لقد أصبح تلمعُ في عينيه شهبُ المعاني، لقد تكسرت على شفتيه أبعاد الخيال، كما تتكسر على الشاطئ كرات الأمواج فهي إذاً أمام رجل تتراءى عليه الانعكاسات: سريرةٌ بيضاء على بشرة بيضاء، عين دعجاء تحت بصيرة فيحاء، عنق كأبريق فضَّة كأنّ يداً تناوله منهلاً من كوثر، كفَّ من ندى، قدم من صخر، عينٌ من بريق، كتفان من أثقال، مشية إلى هدف، قامةٌ إلى تطاول، فمٌ إلى صدق ودعاء وإبتهال، تلك أبرز المظاهر التي كانت تتراءى على محمد ﷺ منذ الطفولة، محمد ﷺ ذلك الإنسان العظيم... خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، خيرة الله من خلقه، حبيبه وصفيه، وأمينه، وربيبه تلك الشخصية الفذة التي لا يمكن لأي من عظماء البشر الرقي إلى مصافها وعظمتها، ولا حتى محاولة المقارنة بها، ابتداءً من بدء الحياة في هذا الكون، إلى ما ينتهي إليه الصادق الأمين، الذي جاء لخير البشرية جمعاء، دون تخصيص فئوي، دون حصر بجماعة محدودة، أو مجتمع معين ذلك العظيم الذي قال وقوله صدق وفي قوله نفحات سماوية وسمات ربّانية قال ﷺ: (خير الناس من نفع الناس) نعم كل

الناس.. لأنه أرادها مطلقة لكل الناس، لم يقل خير الناس من نفع المسلمين فقط، أراد ﷺ النفع والخير للناس عامة دون استثناء لدين أو لقومية أو لعرق.. أراد الخير لكل البشر على اختلاف معتقداتهم ومللهم وديانـاتـهم، كيف لا، وهو رسول الإنسانية.. رسول المحبة.. رسول السلام.. رسول الله لكل خلق الله.. هذا العظيم الذي استمد عظمته من عظمة الله سبحانه وتعالى.. الذي علّمه وأدّبه.. فأحسن تأديبه، وأجاد تعليمه، حتى كان حقاً ربيباً لوحيه، هذا الإنسان الذي لم ينجب كوكبنا هذا نظيراً له.. ولا مثيلاً لإنسانيته، ولا قريناً لخلقه، حتى خاطبه خالقه قائلاً: (وإنك لعلى خلقٍ عظيم) [سورة القلم: الآية 44] وتلك شهادة ما بعدها شهادة، لم يقلها سبحانه وتعالى لأي من أنبيائه ورسله الكرام، لم يخاطب بها أو بمعناها، إلا خاتم أنبيائه.. محمد بن عبد الله.. حبيبه وصفيه.. ومبلّغ آخر رسالاته وأتمّها. ولا يمكن إعطاء هذا العظيم حقه، بما هو فيه من شأن عظيم مهما كتبنا عنه، عمّا يتحلّى به من روائع الصفحات، وما يتصف به من معجزات السمات، ذلك العظيم الخالد في القلوب المؤمنة، وبالأنفس التقية، وفي الأرواح الطاهرة النقية.

التعريف بأسلاف الرسول ﷺ

كان من الواجب التحدّث عن أحوال أجداد النبي ﷺ لِما كان لهم من نصيب هام في تاريخ العرب والمسلمين، ولمّا كان نسب النبيُ ﷺ ينتهي إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم «عليهما السلام» فإنّه من المستحب أن نتناول أسلاف النبي ﷺ بالعرض والدراسة بدءاً منهما «عليهما السلام» :

النبي إبراهيم (عليه السلام) :

هو بطل التوحيد، جاهد في سبيل إرساء قواعد التوحيد واقتلاع جذور الوثنية، ولد في بابل التي تعد إحدى عجائب الدنيا السبع، التي حكمها «نمرود بن كنعان» الذي أمر الناس بعبادته إضافة إلى عبادة الاَصنام، ولمّا ذكر له أنّ عرشه سينهار على يد رجل يولد في بيئته، أمر بعزل الرجال عن النساء، في نفس الليلة التي انعقدت فيها نطفة النبي إبراهيم «عليه السلام» ، وهي الليلة التي تكهَّن بها المنجمون والكهنة من أنصار نمرود، ممّا دفع جلاوزته إلى قتل كلّ وليد ذكر وقد حملت به أُمّه ـ أُمّ إبراهيم ـ مثلما حملت أُمّ موسى (عليه السلام) به، فأمضت فترة حملها في خفاء وتستر، ثمّ وضعته في غار بجبل قريب من المدينة للحفاظ عليه، وقضى في هذا الغار فترة ثلاث عشرة سنة، ثمّ انخرط في المجتمع الذي استغرب وجوده فأنكروه ورأى في مجتمعه ظواهر التعبد لغير اللهّ، من نجوم وكواكب وأصنام وعبادة الإنسان، ممّا دعاه إلى أن يحارب في هذه الجبهات، التي أوضحها القرآن الكريم في سوره وآياته الشريفة، وقد بدأ عمَلَه بمكافحة ما كان عليه أقرباؤه، وعلى رأسهم عمه آزر، وهو عبادة الاَصنام والاَوثان، ثمّ اتَّجه إلى جبهة أُخرى أكثر ثقافة وعلم، وهي التي عبدت الكواكب والنجوم والاَجرام السماوية

وقد أعطى النبي إبراهيم (عليه السلام) سلسلة من الحقائق الفلسفية والعلمية لم يصل إليها الفكر البشري يوم ذاك، في حواره العقائدي مع عبّاد الأجرام السماوية، مدعمة بأدلّة لا تزال إلى اليوم موضع إعجاب كبار العلماء وروّاد الفلسفة والكلام وقد نقل القرآن الكريم في هذا المجال أدلّة النبي إبراهيم (عليه السلام) باهتمام خاصّ وعناية بالغة، فقد اتّخذ إبراهيم (عليه السلام) هيئة الباحث عن الحقيقة بدون أن يصدم تلك الفرق المشركة ويجرح مشاعرها، وركّز في عمله على التوحيد في الربوبية، والتدبير وإدارة الكون، وأنّه لا مدبّر ولا مربّي للموجودات الاَرضية إلاّ اللهّ سبحانه و تعالى، فأبطل ربوبية الاَجرام السماوية بقوله: (وَجَّهْتُ وَجْهِي للّذي فَطَرَ السَّمواتِ وَالاَرض حَنيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكين) أمّا بالنسبة إلى عمّه آزر الذي كان ذا مكانة اجتماعية عالية بين قومه، وصانعاً ماهراً ومنجماً له رأيه وأفكاره في الأمور الفلكية في بلاط نمرود، فإنّه ليس أبوه بل عمّه، وذلك أنّ علماء الشيعة قد اتّفقوا على أنّ أباء الاَنبياء كانوا مؤمنين بالله موحّدين به، وأكّد الشيخ المفيد ذلك في كتابه: «أوائل المقالات» بل إنّ كثيراً من علماء السنّة قد وافقهم في ذلك أيضاً، ولعلّ مناداته بالأب نظراً لكونه الكافل لإبراهيم (عليه السلام) ردحاً من الزمن، فنظر إليه بمنزلة الأب، وأمّا بخصوص عقابه وإلقائه في النار وعدم تأثّره بها وخروجه سالماً منها، فإنّ السلطات الحاكمة قررت نفيه من البلاد فغادرها إلى الشام، ثمّ إلى الحجاز مع زوجته هاجر وإبنه إسماعيل حينما أسكنهما في مكّة، وظهرت بفضلهما عين زمزم، ووفدت جماعات من القبائل لتسكن في تلك البقعة، وأشهرها قبيلة «جُرهم» التي تزوّج منها إسماعيل وصاهرهم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مكة من المدن العامرة، بعد أن كانت صحراء قاحلة ووادٍ غير ذي زرع.

قصيّ بن كِلاب :

هو الجدّ الرابع للرسول ﷺ وأُمّه فاطمة التي تزوّجت برجل من بني كِلاب ورُزقت منه بولدين: زهرة وقصيّ، و قد توفّي أبوه فربّاه زوجُ أُمّه ربيعة، إلاّ أنّ خلافاً وقع بين قصيّ وقوم ربيعة، أدى إلى طرده من قبيلتهم،ولكن أُمّه تمكنت من إرجاعه إلى مكة، فعاش فيها متفوقاً في أعماله ومراكزه، فشغل المناصب الرفيعة، مثل حكومة مكة، وزعامة قريش، وسدانة الكعبة المعظمة، فأصبح رئيس تلك الديار دون منازع ومن أهمّ أعماله:

- تشجيع الناس على البناء حول الكعبة.
- تأسيس مجلس شورى يجتمع فيه رؤساء القبائل في حلّ مشكلاتهم.

عبدُ منَاف :

هوالجدّ الثالث للنبي الاكرم ﷺ واسمه: «المغيرة»، ولقبه قمر البطحاء ومع أنّه كان أصغر من أخيه إلاّ أنّه حُظي بمكانة خاصة عند الناس فقد إتّخذ التقوى شعاراً، ودعا إلى حسن السيرة وصلة الرحم، ولكن الزعامة والقيادة كانت لأخيه عبد الدار، حسب وصية أبيهما إلاّ أنّ الوضع تبدّل بعد وفاتهما، فقد وقع الخصام والتنازع بين أبنائهما على المناصب، فانتهى الأمر إلى اقتسامها بينهم، حيث تقرّر أن يتولّى أبناء عبد الدار سدانة الكعبة وزعامة دار الندوة، ويتولّى أبناء عبد مناف سقاية الحجيج وضيافتهم ووفادتهم.

هاشـــم :

وهو الجدّ الثاني للرسول الأعظم ﷺ وإسمه: عمرو ولقبه العُلاء، ولد مع عبد شمس توأماً له، وله أخوان آخران هما: عبدالمطلب ونوفل ومن الأمور المميزة لأبناء عبد مناف انهم توفوا في مناطق مختلفة، فهاشم توفي في غزة، وعبد شمس في مكة، ونوفل في العراق، والمطّلب في اليمن وكانوا

يدعون الناس إلى الترحيب بضيوف الله وزوّاره وتكريمهم بالمال والحلال في غرّة كلّ شهر ذي الحجة:«وأسألُكُم بحرمة هذا البيت ألاّ يُخرج رجلٌ منكم من ماله لكرامة زوّار بيت اللهّ وتقويتهم إلاّ طيّباً لم يؤخذ ظلماً، ولم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ غصباً».

ومن أهمّ آثاره: أنّ زعامته لمكّة كانت لمنفعة أهلها وتحسين أوضاعهم، فقد ساهم كرمُه في عدم انتشار القحط والجدب، كما أنّه حسّن من الحالة الاقتصادية في البلاد عندما عقد معاهدة مع أمير الغساسنة ممّا دفع أخاه عبد شمس إلى أن يعاهد أمير الحبشة، وأخويه نوفل والمطلب أيضاً أن يعقدا معاهدات مع أمير اليمن وملك فارس، وذلك لتجنب الأخطار وتأمين الطرق وسير القوافل التجارية، وقد عُرِفَ عنه أنّه المؤسس لرِحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن، إلاّ أنّ كل تلك الإسهامات من جانب هاشم، كانت دافعاً إلى أن يحسده أُميّة بن عبد شمس إبن أخيه، وذلك لما حظي به من مكانة وعظمة وتقرّب إلى قلوب الناس، الأمر الذي أجبرهم على الحضور عند كاهن من كهنة العرب فقضى لهاشم بالغلبة، فأخذ منه الإبل وأخرج أُمية إلى الشام نافياً لمدّة عشرة سنين، حسب الشروط التي تمت بينهما وتبيّن هذه القصة جذورَ العداء بين بني هاشم وبني أُميّة من ناحية، وعلاقات الاَمويين بالشام وارتباطهم بها حين اتخذوها عاصمة لدولتهم بعد ذلك من ناحية أُخرى

ومن أشهر أولاده : شيبة، الذي عُرِفَ بـ«عبد المطلب» لاَنّه تربى وترعرَعَ في حِجر عمّه المطلب، حيث كان العرب يسمّون من تَرعرَعَ في حجر أحد، وينشأ تحت رعايته، عبداً لذلك الشخص.

عبد المطلب :

وهو الجد الأول للنبي العظيم ورئيس قريش وزعيمها، وأودَعت يدُ المشيئةَ الربّانية بين حنايا شخصيته نور النبي الأكرم ﷺ ولذا كان

إنساناً طاهر السلوك، نقيّ الجيب، منزّهاً عن أيّ نوع من أنواع الإنحطاط والفساد، وأحد المعدودين الذين كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقد اشتهر موقفه الإيماني في عام الفيل، حينما أمر جماعته بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب، ونزل إلى الكعبة يدعو اللهّ ويستنصره على أبرهة وجنوده مناجياً: «اللّهمّ أنت أنيسُ المستوحشين ولا وحشة معك، فالبيت بيتُك والحرمُ حرمُك والدار دارُك، ونحن جيرانُك تمنع عنه ما تشاء، وربّ الدار أولى بالدار». وفي الصباح خرجت أسرابٌ من الطيور من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره، وحجر في كلّ من رجليه وحلّقت فوق رؤوس الجند ورجمتهم بالأحجار بأمر من اللهّ محطمة رؤوسهم وممزقة لحومهم، وقد أصاب حجر منها رأس أبرهة القائد، فأمر جنوده بالتراجع والعودة إلى اليمن، إلاّ أنّهم أُهلكوا في الطريق، حتى أبرهة نفسه مات قبل وصوله صنعاء وقد نتج من هذه العملية، أن تحطّم جيش أبرهة، وانهزم أعداء قريش، وعظم شأن المكيّين، وشأن الكعبة المشرفة في نظر العرب وغيرهم، فلم يجرأ أحد بعد ذلك على غزو مكة، أو الإغارة على قريش أو التطاول على الكعبة كما أنّها من جانب آخر، أحدثت في نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم وعنجهيتهم واعتزازهم بعنصرهم، فقرروا تحديد شؤون الآخرين والتقليل من وزنهم على أساس أنّهم فقط الطبقة الممتازة من العرب كما دفعتهم إلى التصور بأنّهم موضع عناية الأصنام (الـ 360) إذ أنّهم فقط الذين تحبهم تلك الأصنام وتحميهم وتدافع عنهم !! وقد دفعهم كلّ ذلك إلى التمادي في لهوهم ولعبهم، والتوسع في ممارسة الترف واللّذات وإظهار الولع بشرب الخمر، حتى أنّهم مدّوا موائد الخمر في فناء الكعبة وأقاموا مجالس أُنسهم إلى جانب تلك الأصنام، متصورين أنّ حياتهم الجميلة هذه هي من بركة تلك الأصنام والأوثان كما أن هذه الحالة جعلت قريش

تـقوم بـإلـغاء أي إحـتـرام وتـقديـر لـلغيـر فـقالـوا: إن جـميـع الـعـرب محتاجـون

إلى معبدنا، فقد رأى العرب عامةً كيف اعتنى بنا آلهة الكعبة خاصةً وكيف حَمانا من الأعداء ومن ذلك بدأت قريش تضيّق على كلّ من يدخل مكة للعمرة أو الحجّ، وتعاملهم بخشونة وأسلوب ديكتاتوري، وفرضت عليهم ألا يصطحب أحد منهم طعاماً معه من خارج الحرم ولا يأكل منه بل عليه أن يقتني من طعام أهل الحرم ويأكل منه، وأن يلبس عند الطواف بالبيت من ثياب أهل مكّة التقليدية القومية، أو يطوف عرياناً بالكعبة إذا لم يكن في مقدوره شراؤها، ومن رفض الخضوع للأمر من رؤوساء القبائل وزعمائها، كان عليه أن ينزع ثيابه بعد الانتهاء من الطواف ويلقيها جانباً، دون أن يكون لأحد الحقّ في مسّها حتى صاحبها، أمّا النساء فكان عليهن إذا أردن الطواف أن يطُفن عراة ويضعن خرقة على رؤوسهن ! كما أنّه لم يكن يحق لأي يهوديّ أو مسيحيّ أن يدخل مكة، إلاّ أن يكون أجيراً لمكيّ، وعليه ألاّ يتحدث في شيء من أمر دينه وكتابه، بالإضافة إلى ذلك فإنّهم أنفوا منذ ذلك اليوم أن يأتوا بمناسك عرفة، كما يفعل بقية الناس، حيث تركوا الوقوف بها والإفاضة منها، بالرغم من أن آباءهم ـ من ولد إسماعيل كانوا يقرّون أنّها من المشاعر والحج، إنّ كلّ ذلك الإنفلات الأخلاقي والترف والإنحراف قد هيّأ الأَرضية وأعدها لظهور مصلح عالميّ أمّا بالنسبة لإبن عبد المطلب، عبد اللهّ، فقد سعى إلى أن يزوّجه، فاختار له «آمنة بنت وهب بن عبد مناف» التي عُرِفت بالعفّة والطُهر والنجابة والكمال كما اختار لنفسه «دلالة» ابنة عم آمنة، فرزق منها حمزة، عمّ الرسول ﷺ الذي كان في نفس عمر النبي ﷺ وقد تمّ حفل الزفاف في منزل السيدة آمنة طبقاً لما كان عليه المتعارف في قريش، ثمّ بقي «عبداللهّ» مع زوجته ردحاً من الزمن حتى سافر في تجارة إلى الشام، وتوفّي في أثناء الطريق، ويرتبط بموضوع أسلاف النبي ﷺ طهارته من دَنَس الآباء وعهر الأُمّهات، إذ لم يكن في أجداده وجدّاته سفاح وزنا، وهو ما إتّفق عليه المسلمون، وصرّح به الرسول ﷺ في أحاديث رواها السنة

والشيعة، فقد جاء عنه ﷺ إنّه قال: «نُقلتُ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحاً لا سِفاحاً» وقال الإمام علي (عليه السلام) :«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وسيد عباده كلّما نسخ اللهّ الخلق فِرقتين، جعله في خيرهما، لم يُسهِم فيه عاهرٌ ولاضربَ فيه فاجر» كما ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك مفسراً الآية: (وتقلّبك في الساجدين): «أي في أصلاب النبيّين، نبي بعد نبي، حتى أخرجه من صُلبِ أبيه عن نكاحٍ غير سفاح من لدن آدم».

مولده ﷺ :

ولد النبي ﷺ في عام الفيل (570م) بإتّفاق كتّاب السيرة، ورحل عن الدنيا في (632م) عن 62 أو 63 عاماً، كما اتّفقوا على أنّه ولد في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وقد حملت به أُمّه «السيدة آمنة بنت وهب» في أيّام التشريق من شهر رجب، فإذا اعتبرنا يوم ولادته 12 من ربيع الاَوّل، فتكون مدّة حملها به ثمانية أشهر وأيّاماً وقد وقعت يوم ولادته أحداث عجيبة فقد وُلِد مختوناً مقطوع السرة، وهو يقول: «اللّهّ أكبر والحمد للّهّ كثيراً، سبحان اللّهّ بكرةً وأصيلاً» كما تساقطت الاَصنام في الكعبة على وجوهها، وخرج نورٌ معه أضاء مساحة واسعة من الجزيرة العربية وانكسر إيوان كسرى، وسقطت أربعة عشر شرفة منه وانخمدت نار فارس التي كانت تعبد، وجفّت بحيرة ساوة وهدفت هذه الاَحداث الخارقة والعجيبة إلى أمرين مؤثرين:
(1) فهي تدفع الجبابرة والوثنيين إلى التفكير فيما هم فيه من أحوال، فيتساءلون عن الأسباب التي دعت إلى كلّ ذلك لعلهم يعقلون إذ أنّ تلك الأحداث كانت في الواقع تبشّر بعصر جديد هو عصر انتهاء الوثنية وزوال مظاهر السلطة الشيطانية واندحارها.
(2) ومن جهة أُخرى تبرهن على الشأن العظيم للوليد الجديد على أنّه ليس عادياً، بل هو كغيره من الأنبياء العِظام الذين رافقت ولادتُهم أمثالَ تلك الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة. وفي اليوم السابع لمولده المبارك، عقّ عبد المطلب عنه بكبش شكراً للّهّ تعالى واحتفل به مع عامة قريش وقال عن تسميته النبي الكريم محمّداً ﷺ وعن سببه: أردت أن يُحمَد في السماء والأرض وكانت أُمّه (عليها السلام) قد سمّته أحمد قبل أن يسمّيه جدّه وكان هذا الاسم نادراً بين العرب فلم يسم به منهم سوى 16 شخصاً، ولذا فإنّه كان من إحدى العلامات الخاصه به

رضاعته وطفولته :

إرتضع ﷺ من أُمّه ثلاثة أيّام ثمّ أرضعته إمرأتان هما:

ثويبة: مولاة أبي لهب إذ أرضعته لمدّة أربعة أشهر فقط، وقد قدّر النبي ﷺ وزوجته خديجة (عليها السلام) هذا العمل لها حتى آخر حياتها فأكرمها وأراد أن يعتقها فأبى أبو لهب، وكان يبعث إليها بالصلة حتّى وفاتها كما أنّها أرضعت من قبل حمزة، وأبا سلمة بن عبد اللهّ المخزومي فكانوا إخوة في الرضاعة.

حليمة السعدية: بنت أبي ذوَيب وكان لها من الأولاد: عبد الله، أنيسة، شيماء، وقامت «شيماء» بحضانة النبي ﷺ أيضاً، وقد استلمت حليمة السعديةُ النبيّ الكريم في عمر لم يتجاوز أربعة أشهر، في عام قحط وجدب فأصابها الرخاء وازدهرت حياتها بعد ذلك، ومن المعروف أنّ النبي ﷺ لم يقبل في ذلك الزمان أي ثدي من المرضعات إلاّ ثدي حليمة وقد استقر النبي ﷺ في قبيلة «بني سعد» خمسة أعوام زارته أُمّه خلالها ثلاث مرّات، وقامت حليمة برعاية شوَونه خير قيام وبالغت في كفالتة والعناية به، كما حافظ ﷺ على فصاحته وبلاغته، وعندما رجع إلى أُمّه(عليها السلام) فكّرت بزيارة المدينة وقبر زوجها عبدالله ورافقتهم أمّ أيمن حيث أمضوا هناك شهراً رأى فيه النبي ﷺ بيت أبيه الذي توفّي فيه ودفن إلاّ أنّ أُمّه العزيزة توفّيت أيضاً في الطريق إلى مكة بمنطقة الأبواء ممّا دفع الجميع إلى إظهار المحبة له والعناية به خاصةً جدّه «عبد المطلب» الذي أحبه أكثر من أولاده وكان أبو طالب أخاً لوالد النبي ﷺ من أُمّ واحدة، وقد تقبّل كفالة النبي الكريم وتحمّل المسؤولية بفخر واعتزاز وفي العاشرة من عمره، شارك النبيّ ﷺ عمّه في إحدى الحروب التي وقعت في الأشهر الحرم فسمّيت بحرب الفجار، ورافق عمّه في سفره إلى الشام وهو في ربيعه الثاني عشر

شاهد فيها «مدين، ووادي القرى، وديار ثمود» واطّلع على مشاهد الشام وطبيعتها الجميلة.

فترة شبابه وعمله :

كانت آثار الشجاعة والقوة باديةً على جبينه (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ طفولته وصباه، ففي الخامسة عشرة من عمره قيل انّه شارك في حرب الفجّار بين قريش و هوازن، وهي حرب الفجّار الرابعة التي استمرّت أربع سنوات، كان يناول فيها أعمامه النبال. وتكشف مشاركته في تلك العمليات العسكرية وهو في تلك السن، عن شجاعته وقدرته الروحية الكبرى، ولهذا كان المسلمون ـ فيما بعد ـ يحتمون بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند اشتداد المعركة. وقد أمضى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شطراً من حياته قبل البعثة، في رعي الغنم في الصحارى، لعلّه ليصبح بذلك صبوراً في تربية الناس الذين سيُكلف بقيادتهم وهدايتهم، ويستسهل كلّ صعب في هذا المجال إذ كان لابد أن يتسلّح بسلاح الصبر، ويتجهّز بأداة التحمّل، ويتزوّد بقدرة الاستقامة على طريق الهدف، وذلك حتى يمكنه إدارة البشر في المستقبل. إذ أنّ ذلك لا يكون إلاّ بتعويد النفس على هذه الصفات وحملها على مشاق الأعمال كما أنّ عمله في الصحراء والجبال ساعده في التخلّص بعض الشيء من ألآمه الروحية الناشئة من رؤية الاَوضاع المزرية والاَحوال المشينة التي كان عليها أهل مكة وما كانوا فيه من عادات سيئة وظلم وانحراف وطغيان. كما أنّعمله في تلك البقاع، أعطاه فرصة طيبة للنظر في خلق السموات والتطلع في النجوم والكواكب وأحوالها، ثمّ الاِمعان في الآيات الدالة على وجود اللهّ سبحانه و تعالى، وقدرته و حكمته وعلمه وإرادته فبالرغم من أن قلوب الأنبياء تكون منوّرة بمصابيح المعرفة، ومضاءة بأنوار الإيمان والتوحيد، إلّا أنهم لا يرون أنفسهم في غنى عن

النظر في عالم الخلق والتفكر في الآيات الإلهية، إذ أنّه من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الإيمان ويبلغون أسمى درجات اليقين وبالتالي يتمكنُون من الوقوف على ملكوت السماوات والاَرضين. وبعد هذا العمل الصحراويّ الجبلي، تعاطى (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل التجاري، باقتراح من عمّه أبي طالب، الذي أرشده بالتوجه للعمل في تجارة السيدة «خديجة بنت خويلد» التي كانت تعمل بالتجارة الواسعة، فأصبحت غنيةً ذات مال كثير وذات شرف عظيم، استخدمت الرجال في إدارة أعمالها الكثيرة. فقال أبو طالب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : «يابن أخي، هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس، وهي تبحث عن رجل أمين،فلو جئتها فعرضتَ نفسك عليها لاَسرعتْ إليك،وفضّلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك». إلاّ أنّ إباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلوّ طبعه منعاه من الاِقدام بنفسه على ذلك فردَّ عليه :«فلعلّها أن ترسل إليّفي ذلك» لاَنّها تعرف أنّه المعروف بالاَمين بين الناس. وقد حدث ماأراده النبي ﷺ فقد بعثت إليه قائلةً: «إنّي دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك،وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، وأبعث معك غلامين يأتمران بأمرك في السفر».ولّما علم عمّه أبو طالب بذلك قال له: «إنّ هذا رزق ساقه اللهّ إليك». وهكذا تمّ الاتفاق على أن يقوم النبي ﷺ بالعمل في أموالها وتجارتها على نحو المضاربة لا الاِجارة، فقد ذكر «اليعقوبي»: إنّ النبي ﷺ ما كان أجيراً لاَحد قط ولذا فإنّ النبي ﷺ حصل على أرباح وفيرَة من أوّل تجارته إلى الشام ولما مرّ في الطريق على ديار عاد وثمود، تذكر سفره الاَوّل مع عمّه إلى تلك المناطق. وعند وصولهم إلى مكّة، قال «ميسرة» غلام السيدة خديجة: يا محمّد لقد ربحنا في هذه السفرة ببركتك ما لم نربح في أربعين سنة، فاستقبلْ بخديجة وأبشرها بربحنا. فأسرع النبي ص وسبق القافلة متوجهاً نحو بيت خديجة، التي استقبلته بحفاوة كبيرة

وسرّت بحديثه وأخباره عن رحلته ومكاسبه التجارية. ثمّ إنّ «ميسرة» أخبرها بكلّ ما حدث وحصل لهم في السفر، منذ خروجهم ودخولهم إلى البلاد، وخاصةً ما جرى، بين النبي ﷺ وأحد التجّار الذي جادله في البيع طالباً منه أن يحلف باللات والعزّى، فرد عليه ﷺ : ماحلفت بهما قط، وإنّي لَأمرُّ فأعرض عنهما. كما أخبرها عن النبي ﷺ حينما استراح في ظلّ شجرة عندما كانوا في بصرى، فشاهده راهب فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاّ نبي.ولما سأل عن اسمه من ميسرة فقال: هو نبيّ وهو آخر الأنبياء، إنّه هو هو ومنزِّلُ الإنجيل،وقد قرأتُ عنهُ بشائر كثيرة. وقد سلّم النبي ﷺ كلّ ما ربحه واستلمه من مال إلى عمّه أبي طالب، ليوسّع به على أهله، ممّا جعله فرِحاً مسروراً بما قام به ابن أخيه تجاهه.

زواجه ﷺ :

في هذا الوقت، فكّر ﷺ جدياً في أن يتّخذ شريكة لحياته ويكوّن أُسرة فكيف وقع اختياره على السيدة خديجة التي رفضت كلّ مَن تقدّم إليها من كبار الشخصيات القرشية أمثال :
عقبة بن أبي معيط، وأبي جهل، وأبي سفيان وكيف أدّى الارتباط بينهما والعلاقة العميقة والألُفة والمحبة، إلى درجة أنّها وهبت كلّ ثروتها للنبي حتى ينفقها في نشر الإسلام، كانت السيدة خديجة من خيرة نساء قريش شرفاً وأقواهن عقلاً وأكثرهن فهماً وقد قيل لها: سيدة قريش وسمّيت الطاهرة لشدة عفافها، وذلك في أيّام الجاهلية وحين رفضت الزواج من سادة القوم قَبِلت بسيد البشر لما عرفت عنه من كرم الأخلاق وشرف النفس والسجايا الكريمة والصفات العالية وهي المرأة الثرية

التي وإن عاشت في الترف وأفضل العيش إلاّ أنّها أصبحت في بيت زوجها الرسول ﷺ الزوجة المطيعة الخاضعة الوفية المخلصة، و سارعت إلى قبول دعوته واعتناق دينه بوعيٍ وبصيرةٍ مع علمها بما ينطوي ذلك على مخاطر ومتاعب ثمّ جعلت كلّ ثروتها ومالها في خدمة العقيدة والمبدأ، مشاطرة زوجها بذلك آلامَه ومتاعبَه وراضية بمرارة الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، وهي في سن الرابعة والستين وقد بلغ من خضوعها للرسول ﷺ وحبها له أنّها بعد أن تم الزواج بينهما قالت له: إلى بيتك فبيتي بيتك وأنا جاريتك ويؤكد المؤرّخون أنّها هي التي اقترحت على النبي الزواج، وكما يعتقد أكثر المؤرّخين أنّ «نفيسة بنت عليّة» بلّغت رسالتها إلى النبي ﷺ الذي تقبّل عرضها فأخبرت السيدة خديجة بذلك، فأرسلت بوكيلها «عمرو بن أسد» لتحديد ساعة مراسم الخطبة في محضر الأقارب فشاور النبي ﷺ أعمامه وعلى رأسهم «أبو طالب» الذي خطب في القوم يمدح النبي ﷺ ويطلب الزواج له من السيدة خديجة قائلاً: «وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي ومحمّد من قد عرفتم قرابتَه» ثمّ أجرى عقد النكاح، ومهرها النبي ﷺ 400 دينار وقيل أصدقها عشرين بكرة وكان عمرها في هذا الوقت أربعين عاماً، إذ أنّها وُلدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً، كما جاء عنها أنّها تزوجت قبل النبي ﷺ برجلين أوّلهما: «عتيق ابن عائذ»،ثمّ بعده: «أبو هالة التميمي». وقد توفي كلٌّ منهما بعد زواجه منها وقد تميّزت السيدة خديجة من نساء النبي ﷺ بأنّه لم يتزوّج عليها مدّة حياتها وبلغت لديه مالم تبلغه امرأة قطّ من زوجاته وممّا يدل على سموّ مقامها وعلوّ منزلتها أنّ أهل البيت «عليهم السلام» طالما افتخروا بأنّ خديجة منهم، وإنّهم من خديجة، فكانوا يعتزون بها ويشيدون بمكانتها فالسيدة خديجة (عليها السلام) هي مثال الشرف والعقل والحبّ العميق للرسول ﷺ والوفاء والإخلاص والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الإسلام الحنيف فهي أوّل من

آمنت باللهّ ورسوله، وصدّقت محمّداً ﷺ وآزرته فكان ﷺ لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من إيذاء وتكذيب إلاّ وفرّج اللهّ عنه بخديجة التي خفّفت عنه بلطفها وعطفها وعنايتها به في غاية الإخلاص والود، لقد اكتسبت السيدة خديجة بفضل إيمانها العميق بالرسالة المحمّدية وتفانيها في سبيل الإسلام وحرصها العجيب على حياة صاحب الرسالة مكانةً سامية في الاِسلام حتى أنّ النبي ﷺ ذَكَرَها في أحاديثه الكثيرة، وأشاد بفضلها ومكانتها وشرفها، وذلك لإلفات نظر المرأة المسلمة إلى القدوة التي ينبغي أن تقتدي بها في حياتها وسلوكها في جميع المجالات والحالات، بالاِضافة إلى ما يمكن أن تقدمه المرأة وهي نصف المجتمع من دعم جدّيٍّ للرسالة مادياً كان أم معنوياً، ومن أشهر الأحاديث التي نُقلت عن النبي ﷺ أنّه قال عنها: «أتاني جبرائيل (عليه السلام) فقال يا رسول اللهّ، إذا أتتك خديجة فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّي، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب». وقال عنها ﷺ : «لا واللهّ ما أبدلني اللهّ خيراً منها، آمنَت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذبني الناس، وواسَتْني في مالها إذ حَرمني الناس، ورزقني اللهّ منها أولاداً إذ حرَمَني أولاد النساء». كما روى أنس بن مالك، أنّ النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال: اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنّها كانت صديقة لخديجة، إنّها كانت تحبّ خديجة كما قال عنها الاِمام علي (عليه السلام) : «كنتُ أوّل من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حِجَج وما على الأرض خلق يصلّي ويشهد لرسول اللهّ ﷺ بما أتاه غيري وغير ابنة خويلد رحمها اللهّ وقد فَعَلَ». وقد تحدّث عنها أيضاً الكثير من الشخصيات الإسلامية المتقدمة والمتأخرة، فقد ذكر عنها «محمد بن إسحاق»: «إنّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب، ماتا في عام واحد فتتابع على رسول اللهّ ﷺ وفاة خديجة وأبي طالب، وكانت

خديجة وزيرة صدق على الإسلام وكان رسول اللهّ يسكُن إليها». ولكلّ ذلك فإنّ وفاتها كانت من أعظم المصائب التي أحزنت الرسول ﷺ ممّا دفعه أن يسمّي العام الذي توفّي فيه ناصراه وحامياه ورفيقا آلآمه زوجته خديجة، وعمّه الموؤمن الصامد أبو طالب ـ بعام الحداد أو عام الحزن، فينزل عند دفنها في حفرتها ويُدخلُها القبر بيده في الحجون، فيلزم بيته و يقل الخروج.

أولاد الرسول ﷺ :

لقد أنجبت خديجة لرسول اللهّ ﷺ ستة من الأولاد، اثنين من الذكور أكبرهما القاسم وعبداللهّ، وأربعة من الإناث، وذكر ابن هاشم: انّ أكبر بناته رقية ثم ّزينب ثمّ أُم كلثوم، ثم ّفاطمة، وكلّهن أدركنَ الإسلام، أمّا الذكور فقد ماتوا قبل البعثة وبعد 18 شهراً من ولادته توفّي إبراهيم ابن النبي ﷺ فحزن عليه و كان النبي ﷺ قد فَقَد خلال السنوات الماضية ثلاثة من أولاده: القاسم والطاهر والطيّب، وثلاثة من بناته: زينب ورقية وأُمّ كلثوم، وبقيت له بنت واحدة هي السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من خديجة (عليها السلام) واعتبر النبي ﷺ الحزن على الميت رحمةً إذ قال: «إنّما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحَم، ولكن نُهيت عن خمش الوجوه، وشقّ الجيوب، ورنّة الشيطان» وقد تبنّى الرسول ﷺ زيد بن الحارثة وكان ممّن سباه العرب من حدود الشام وباعوه في أسواق مكة رقيقاً لأحد أقرباء السيدة خديجة ويدعى حكيم بن حزام، وقد أحبه النبي ﷺ لذكائه وطهره فوهبته خديجة له حينما تزوّجت به إلاّ أنّ أباه حارثة الذي كان يبحث عنه لقيه عند النبي ﷺ فطلبه منه، الأمر الذي جعل النبي ﷺ يخيّره بين المقام معه أو الرحيل إلى وطنه، فاختار المقام مع الرسول ﷺ الذي أخرجه إلى الحجر

الأسود وأعتقه ثمّ تبناه أمام الملأ قائلاً: «يامن حضر اشهدوا أن زيداً ابني».

بعثة الرسول الأعظم ﷺ :

في السابع والعشرين من شهر رجب كان ﷺ كعهده دائماً مشغولاً بعبادته في الغار، وإذا بجبرائيل – ملاك الرحمان – يظهر أمامه، وما إن تطلّع إليه حتى بادره قائلاً: (إقرأ) لكنّ محمداً الكريم الذي لم يكن قد تلقّى أيّ تعليمٍ وهو لا يحسن القراءة أو الكتابة أجاب متعجّباً: وماذا أقرأ؟ فأنا لا أحسن القراءة قال جبرائيل مكرّراً أمره: (إقرأ) لكنّه وللمرة الثانية سمع الرد نفسه، وحين كرر قوله للمرة الثالثة أحسّ محمد ﷺ أنّ باستطاعته أن يقرأ (إقرأ بإسم ربّك الذي خلق) وهكذا اختار الله سبحانه محمداً ﷺ للنبوّة وهو في سن الأربعين، وكلّفه بأن يقوم بهداية الناس وإخراجهم من الظلمات والشرك والجهل الذي هم فيه إلى رحاب العلم ونور الإيمان، وأن يرشدهم إلى طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة. (وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين) (الأنبياء – 10) نزل الرسول ﷺ من الجبل مضطرباً وتوجّه إلى بيته، وهناك كانت أوّل امرأة آمنت به، وهي زوجته خديجة، وأوّل رجلٍ مد يده إليه بالبيعة، ابن عمه الفتى علي بن أبي طالب، الذي تربّى في بيت الرسول ﷺ منذ نعومة أظفاره كان النبي ﷺ حين يقوم للصلاة، يقف عليّ (ع) عن يمينه وتقف خديجة من ورائه، واستمر الأمر كذلك حتى أمر أبوطالبٍ ولده جعفر باتّباع الرسول ﷺ ثم نزل إليه أمر الله تعالى، بأن يقوم بدعوة أهله وعشيرته الأقربين إلى الإسلامِ (وأنذر عشيرتك الأقربين) فدعا ﷺ إلى بيته ما يزيد على أربعين فرداً من بني هاشمٍ، وبعد أن تناولوا الطعام وقف بينهم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا بني عبد المطلب، إني والله

ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي فيكم؟ ومن بين الحضور جميعهم وقف علي (ع) وهو ما يزال ابن عشر سنواتٍ وأعلن استعداده لمؤازرة الرسول ﷺ كرّر الرسول قوله ثلاث مراتٍ وكان الوحيد الذي استجاب له في المرّات الثلاث هو عليّ بقي الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام سرّاً لمدّة ثلاث سنوات واستجاب لدعوة الإيمان عدد قليل من الناس.

محاربته للشرك :

في تلك الأيّام كان الناس يفدون إلى مكّة من بلادٍ وأماكن بعيدةٍ للحج وكانوا يحضرون معهم بضائع يحتاجها أهل مكة فيتّجرون بها معهم وكان هذا العمل مصدر ربح وفير يجنيه أثرياء مكة والربح هو همهم ومحور تفكيرهم، وكان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى ترك العادات السيئة كالزنا وشرب الخمر ووأد البنات وقتلهم وأكل مال اليتيم وأكل الميتة وشهادة الزور وغير ذلك من الفواحش، وكان يدعوهم بالمقابل إلى الأمر بالمعروف والإحسان إلى الأرامل واليتامى والمساكين وصلة الرحم وحسن الجوار، وكان ﷺ يجلس إلى أولئك الزوار القادمين من بعيد ويتحدّث إليهم وينصحهم بترك عبادة الأصنام، التي صنعها الكفّار بأيديهم من الخشب والحجارة، ونصبوها في المسجد الحرام فوق الكعبة، ينصحهم بترك عبادتها لأنّها لا تنفعهم ولا تضرّهم وأن يتّجهوا بالعبادة إلى الإله الواحد، خالق كلّ شيءٍ وكان أثرياء مكّة يتساءلون: ماذا لو استمع الناس إلى محمد وتركوا عبادة الأصنام، إذن لانقطع قدومهم إلى مكة وانقطع معهم مورد رزقنا ومصدر أرباحنا، لذلك شرعوا في إعلان الخصام الشديد لمحمد ﷺ ولتابعيه من المسلمين الأوائل

ورغم ذلك فقد كان عدد المؤمنين يزداد يوماً عن يوم، كما كانت معاملة قريش له ولأصحابه تزداد قسوةً ووحشيةً، وكان مشركوا قريش ينزلون بالمسلمين الأذى والضرر ويوجّهون لهم السباب والشتائم، كي يمنعوا انتشار الإسلام بين الناس غير أنّهم لم يجرؤوا على توجيه الأذى لجميع المسلمين لأنهم ينتسبون الى قبائل عديدة، تحسب قريش حسابها وأمام عجزهم ذاك فقد توجّه نفر من أعيانهم إلى بيت أبي طالب، عمّ الرسول وحاميه، وسيد بني هاشم وشكوا إليه أمرهم مع محمد قائلين: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك محمداً قد عاب آلهتنا وسفه أحلامنا وسخر من عقائدنا واتّهم آباءنا بالضلال ونحن على استعداد لكي نقدم إليه كل ما يطلب لو ترك هذا الأمر فإمّا أن تمنعه أنت، وإمّا أن تسلمه إلينا فنرى فيه رأينا، قال أبوطالب: سأتحدث إليه في هذا الأمر، وعندما نقل أبوطالب أقوال قريش إلى النبي ﷺ أجابه: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه». فلمّا سمع أبوطالب مقالة النبي ﷺ وردّه على العرض الذي تقدمت به قريش، أخذ يده بقوة وحرارة قائلاً: وأنا أيضاً أقسم بالله أنّي لن أرفع يدي عنك، فسر في طريقك فرأى كبار قريش أن يلجأوا إلى الخديعة والمكر بعد أن رأوا فشل تخطيطهم فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ محمداً قد شتت جموعنا وسخر منا ومن أصنامنا التي نحن لها عابدون حتى أغرى بنا غلماننا وشجّعهم على العصيان والتمرد ونحن لا نرى تفسيراً لسلوكه ولا ندري ما هو غرضه، فإن كان فقيراً أغنيناه وإن كان يريد الملك والجاه أمّرناه علينا وله منا الطاعة وكل ما نطلبه منه هو أن يتخلّى عن هذه الدعوة ويتركنا لحالنا وأمورنا، لكنّ الرسول ﷺ نظر إلى عمّه وقال: يا عمّاه أنا لا أريد من هؤلاء الناس شيئاً ولا أطلب منهم إلا أن يؤمنوا بالله الواحد العظيم، ويتركوا معبوداتهم وأصنامهم الحقيرة تلك، فإنّها لا تغني عنهم شيئاً، سمع رجال قريش جواب الرسول ﷺ فامتلأوا غضباً وغيظاً

وخرجوا وقد صمّموا على أن يستعملوا معه الشدّة والقسوة منذ ذلك اليوم، عقب هذه الحادثة ضاعفت قريش من إيذائها للرسول وتعذيبها لأصحابه حتى أن بعض أقارب النبي ﷺ كأبي لهب، غدوا من أعدى أعدائه فكانوا يرمونه بالأقذار ويسخرون منه ويوجّهون إليه السباب على مرأى من الناس، حتى أنّهم اتّهموه بالخبل والجنون لكنّهم كانوا عبثاً يحاولون فلم يفوزوا من أفعالهم هذه بطائل، وكم كانوا يتمنون لو يقتلوه ويتخلّصوا منه لولا خوفهم من عزيمة أبي طالب، وسيف حمزة، وانتقام بني هاشم وكم من مرّة رسموا خططاً لقتله، لكنهم كلما حاولوا تنفيذ خططهم الشريرة، كان الله سبحانه لهم بالمرصاد، فأبطل أعمالهم وسفّه أحلامهم، كان نصيب بعض المسلمين من الأذى قليلاً، لأنّهم ينتمون إلى قبائل كبيرةٍ ومشهورة، وكان المشركون يخافون من قبائلهم تلك، لكنّ أكثر أتباع الدين الإسلامي، كانوا من الفقراء المستضعفين، أو من العبيد الأرقّاء، فكان الأذى الذي ينزل بهم أقوى وأشدّ، كبلال الحبشيّ وكان عبداً أسود البشرة، فقد طرحه سيّده فوق الأحجار الملتهبة تحت شمس مكة الحارقة، كما طرحت فوق صدره صخور كبيرة الحجم، وترك ساعات يعاني من العذاب والحرّ، والجوع والعطش، كانوا يطلبون منه الابتعاد عن محمد ودعوته لكن جواب بلال لهم كان قوله . . أحد، أحد، الله واحد. فما كان من المشركين أخيراً إلاّ أن ربطوه بحبل، وصاروا يجرونه في أزقّة مكة فوق الأحجار والرّمال لكنّ بلالاً كان مسلماً حقّاً ولم تكن شدّة العذاب إلا لتزيده قوّةً وإيماناً أحس مشركو قريش أن خططهم لم تصل إلى نتيجةٍ، ورأوا الخطر يزداد عليهم بازدياد انتشار الإسلام، فلجأوا إلى تدبير خسيس، بعيد عن الإنسانية، وقرّروا مقاطعة المسلمين وفرض الحصار الاقتصادي عليهم وأصدروا وثيقة تتضمن أربع نقاط للمقاطعة:

-منع الشّراء والمبيع من المسلمين.

-مناصرة خصوم محمدٍ، والالتزام بها، واجب في جميع النزاعات.
-لا حقّ لأحد في الزواج من المسلمين أو تزويجهم.
-يمنع أي شكل من أشكال التعامل أو العلاقة مع المسلمين.

وعلّقوا صحيفة المقاطعة هذه على الكعبة وامتدت مقاطعة قريش لبني هاشم ثلاث سنوات، كانت من أشدّ الفترات قسوةً على المسلمين، وبعد مقاطعةٍ دامت ثلاث سنواتٍ دون طائلٍ وحين ثبت لقريش أنّ الحصار الاقتصادي بدوره لم يأت بنتيجةٍ، ولم يفت من عزيمة المسلمين بل زادهم إيماناً ندم بعض القرشيّين على ما أقدم عليه وهمهم، وبدأوا شيئاً فشيئاً يخفّفون الحصار، حتى انتهى الأمر بأن أصبح المسلمون أحراراً في المجيء إلى مكة واستطاعوا أن يعودوا ثانية إلى بيوتهم، وكان ذلك بمعجزة من الله تعالى إذ بعث الأرضة (وهي حشرة صغيرة تقرض الأخشاب وغيرها) إلى صحيفة المقاطعة فأكلت كلّ ماكتب فيها من كلمات الظلم والمقاطعة وأبقت على غيرها من الكلمات، فلمّا رأى الناس ذلك، عرفوا أنّ الله سبحانه لا يقبل بهذه المقاطعة، فمزّقوا الصحيفة وأسلم عدد كبير منهم، وبعد زمن قصير فارق أبوطالب عمّ الرسول ﷺ وخديجة زوجته الحياة واحداً إثر الآخر، فكان لفقدهما أسوأ الوقع والأثر على الرسول ﷺ وهما ظهيراه وناصراه واشتدّت بعد موتهما ضغوط قريش على المسلمين وبخاصّة على رسول الله ﷺ فأمر المسلمين أن يهاجر من يريد الهجرة منهم إلى الحبشة ثم لقد كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنوّرة ذات أثر كبيرٍ وأهميّة فائقة، حتى اعتبرت سنة الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي.

فتح مكة :

في السنة الثامنة للهجرة نشب قتال بين المسلمين وجيش الروم فخسر المسلمون المعركة واضطرّوا للتراجع وحين علمت قريش بانكسار جيش

المسلمين، سوّلت لهم أحلامهم أنّ قوّة المسلمين قد ضعفت، وأنّ القضاء عليهم أصبح سهلاً، فنقضوا لذلك عهدهم وهاجموا قبيلةً من القبائل الموالية للمسلمين ووقع أفرادها في أيديهم بين قتيل وأسير بينما استطاع البعض النجاة بالفرار ونقلوا خبر الهجوم إلى رسول الله ﷺ انزعج الرسول لنقض قريش عهدها وتعهّد لهم بتأديب عبدة الأصنام المارقين، عمّ القلق قريشاً لقرار الرسول ﷺ وفوّضت جماعةً، بالتوسط معه على تجديد العهد السابق لكنّ رجاءهم هذا قد رُفض وعاد رسلهم من مسعاهيم خائبين وفي الوقت الذي رآه الرسول ﷺ ملائماً لخططه أعلن التّعبئة العامة في المدينة، وأمر بأن توضع كافّة مداخلها ومخارجها تحت المراقبة، وأن تضبط تحرّكات الناس بشدةٍ، كي يحول دون وصول أنباء التعبئة إلى قريشٍ وكان ﷺ يدرك أنّه إن وُفّق المسلمون في فتح مكّة، وإرغام العدوّ على نزع سلاحه فإنّ كثيراً من أعداء اليوم يصبحون مسلمين غداً بتأثير تعاليم الإسلام السّمحة ولتحقيق ذلك يجب إنجاز هذا العمل الكبير دون إراقة دماء وفي العاشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثامنة للهجرة، أصدر الرسول ﷺ أوامره بالتحرّك ووصل جند الإسلام إلى مكانٍ قريبٍ من مكة ليلاً فأقاموا معسكرهم هناك، وأمر الرسول بنيران كثيرةٍ فأضرمت، وكان أبوسفيان وعدد من مرافقيه خارج مكة وإذا به يفاجأ بالنيران تشعّ قرب مكّة فأخذه العجب والحيرة وتسمّر في مكانه مندهشاً من كثرتها وتصادف في هذا الوقت مرور العباس عم الرسول ﷺ من هذا المكان فرأى أبا سفيان وناداه قائلاً: أيَ أبا سفيان أتدهشك هذه النيران؟ إنّها لجيش محمد وقد أقاموا ينتظرون الصّباح ليدخلوا مكة ولن يكون في طاقة أحدٍ صدّهم عمّا اعتزموا، ارتجف أبوسفيان لدى سماعه أقوال العباس وراح يرجوه أن يأخذه معه إلى الرسول ناسياً صلفه وكبرياءه وبحضرة الرسول الأعظم ﷺ تظاهر أبوسفيان بالإيمان، وأعلن إسلامه متأثّراً ممّا رآه من قوّة واقتدار جيش المسلمين في حين رأى الرسول

الكريم ﷺ في استسلام أبي سفيان دون إراقة الدماء، خير خاتمة تحمل من الفوائد الكثير وأصدر قراره قائلاً: أعلن عن لساني لأهل مكة أنّ كلّ من دخل المسجد الحرام أو دخل بيته وأغلق بابه أو لجأ إلى بيت أبي سفيان فهو آمن، عاد أبوسفيان إلى مكة ونقل إلى الناس فيها كل ما رأى وسمع وهو يرتجف فتسارع الناس إلى الهرب دون تفكير ولجأ كلّ منهم إلى ملجأٍ، وبنداء الله أكبر دخل جيش المسلمين الظافر مكة واتجهوا شطر البيت الحرام وتقدّم الرسول ﷺ على ناقته تحفّ به جموع المسلمين من كلّ جانب، لأداء طوافه حول بيت الله ولما لاحظ أهل مكّة أنّ الرسول ﷺ لا يلتفت إليهم شرعوا يخرجون من بيوتهم بحذرٍ ويتجمعون قرب المسجد الحرام، وبعد أن انتهى ﷺ من تحطيم الأصنام وقف عند باب الكعبة المشرّفة وبعد أن حمد الله وشكره على فضله تلا بعضاً من آيات القرآن الكريم، ثم التفت إلى عبدة الأصنام قائلاً: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا بصوت تخنقه العبرات ويغلب عليه الضعف «أخ كريم وابن أخٍ كريم» لقد أسأنا إليك كثيراً يا محمد ولم نر منك إلاّ الخير، فأنت أخ كريم عطوف، ونطلب منك العفو والغفران. قال النبي (ص): إنكم لم تعاملوني بالحسنى، كما يعامل المرء ابن بلده، لقد اتّهمتموني بالكذب والجنون، وأخرجتموني من داري وبلدي، ووقفتم منّي موقف الحرب والخصومة.

بعد فتح مكة :

أصبح الإسلام قوّةً كبيرةً، وحان وقت غروب شمس الطغيان، ومع انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وانتصارات المسلمين المتوالية في اليمن وحنين وغيرهما، خيّم القلق على قوى الاستكبار، وكان الفرس والرّومان في تلك الأيام، أكبر دولتين على وجه الأرض، وتحت تصرّف كلّ منهما قوة نظاميّة كبيرة، كان الروم قد انتصروا حديثاً على الفرس وغدوا أكثر إحساساً بقوّتهم وجبروتهم، وإذا بهم يفاجؤون بقوّة أخرى تقف في وجوههم و تتحّداهم، ألا وهي قوّة الإسلام، في السنة العاشرة للهجرة أتى أمر الله تعالى إلى رسوله ﷺ بأن يذهب للحجّ هذا العام ويعلن ذلك لسائر المسلمين واستجابةً لدعوته ﷺ تحرّك الآلاف من كل فجٍّ متّجهين نحو مكّة، ليؤدّوا مناسك الحجّ بصحبة رسول الله ﷺ وكانت مناسك الحج لهذا العام قد بلغت الغاية في الجلال، ولما انتهت وعزم الناس على التوجّه إلى مواطنهم وقبل أن يتفرّقوا كل إلى وجهته أمر الرسول ﷺ الناس بالتوقّف في مكان يدعى «غدير خم» ثم اعتلى مكاناً عالياً هُيّئ له وشرع يتحدث إليهم بأعلى صوته بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه بقوله: أيّها الناس، لقد دعيت وسألبّي قريباً ونزولاً عند أمر الله سبحانه أوصيكم فاستمعوا، أيّها الناس إني راحل من بينكم وتاركٌ لكم وديعتين ثمينتين، إحداهما القرآن كتاب الله والثانية أهل بيتي، واعلموا أنّهما لن يفترقا حتى يوم الدين، ثم أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب (ع) ورفعها قائلاً: «من كنت موالاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

مرض النبي ﷺ :

بعد يوم من إعداد الجيش مَرِض النبي ﷺ بصداع شديد تركه طريحَ الفراش، وهو المرض الذي قضى فيه ﷺ وقد علم الرسول ﷺ أنّ هناك من تخلّف عن الجيش، ومن يعرقل التوجه إلى موقعه، ومن يطعن في قيادة أُسامة، فغضب لذلك بشدّة وخرج معصّباً جبهته إلى مسجده يحذرهم من عواقب أعمالهم غير السليمة وخاطبهم بقوله: «لئن طَعنتم في إمارتي لأُسامة، فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيمُ اللهّ كان للإِمارة خليقاً وأنّ ابنه من بعده لخليق للإِمارة وإنَّه كان لمن أحبّ الناس إليّ، واستوصُوا به خيراً فإنّه من خياركم» ونظراً لاَهمية هذا الجيش فإنّ النبي ﷺ كان يقول و هو في الفراش: «جهّزوا جيش أُسامة، لَعَنَ اللهُّ من تخلّف عنه» وفي الوقت الذي استعدّ فيه أُسامة وآخرون من المهاجرين والاَنصار للسير نحو الجرف، انتشر بينهم خبرُ تدهورِ صحّة النبي ﷺ ممّا جعلهم يعدلون عن قصدهم حتى يوم الإِثنين، إلاّ أنّه ﷺ حثّه على الخروج قائلاً: «اغدُ على بركة اللهّ» فتهيّأ الجيشُ للتحرّك والمغادرة إلاّ أنّ خبر احتضارالرسول ﷺ جعلهم يعودون إلى المدينة متجاهلين أوامرَ النبي ﷺ وقد ذكر المؤرخون أنّ النبي ﷺ خرج في الليلة التي توفّي في صبيحتها مع الإمام علي (عليه السلام) إلى البقيع مع عدد آخر فقال لهم: «إنّي أُمرت أن استغفر لاَهل البقيع» وعندما وصل إلى المكان سلّم على أهل القبور قائلاً: «السّلامُ عليكم أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلَت الفتن كقِطَع اللّيل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أوّلها» ثمّ التفت إلى الإِمام علي وقال: «يا علي إنّي خيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربّي والجنّة إنّ جبرائيل كان يعرض عليّ القرآن كلّ سنة مرّة، وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي».

الكتاب الذي لم يُكتب :

قرر الرسول ﷺ بهدف الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة عن محورها الأصلي والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق أن يعزز مكانة علي (عليه السلام) ويدعم إمارته وخلافته وأهل بيته بإثبات ذلك في وثيقة خالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح، ففي خلال زيارة بعض الصحابة له أثناء مرضه قال: «إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده». فبادر عمر قائلاً: إنّ رسول اللّه قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب اللّه، فكثر اللغَط والنقاش حول إحضار ما طلبه النبي ﷺ أو عدمه ممّا أغضب النبي ﷺ فقال: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع»، وقال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول اللّه، وقد نَقل هذه الواقعة فريقٌ كبيرٌ من محدّثي الشيعة والسنة ومؤرخيهم، وتُعتَبر من الروايات الصحيحة وإذا سأل أحد عن عدم إصرار النبي ﷺ على كتابة ذلك الكتاب فذلك لأنّه ﷺ إذا أصرّ على موقفه، لأصرّ هوَلاء في الإساءة إلى النبي ﷺ وخاصة أنّهم قالوا عنه، أنّه غلبه الوَجَع أو هجر، ثمّ قيامهم بعد ذلك بإشاعة الأمر بين الناس، وقد روى ابن حجر العسقلاني أنّ النبي ﷺ قال لأصحابه وقد امتلأت بهم الحجرة وهو في مرضه: «أيّها الناس يوشك أن أُقبضَ سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القولَ معذرةً إليكم، إلاّ أنّي مخلفٌ فيكم كتابَ اللّه ربّي عزّوجلّ وعترتي أهل بيتي». ثمّ أخذ بيد علي (عليه السلام) وقال :«هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يرِدا عليّ الحوض فاسألهما ماذا خلفت فيهما». ومن الواضح أن النبي ﷺ لفت الأنظار إلى حديث الثقلين مرّة أُخرى، برغم ما ذكره في مواضع متعدّدة، حتّى يوَكد أهمية الثَّقلين، وتدارك ما فات من كتابة الكتاب الذي لم يوفّق لكتابته، وفي هذه اللحظات طلب بعضاً

من الدنانير كان قد وضعها عند إحدى زوجاته، وأمر علياً (عليه السلام) ليتصدّق بها وكان النبي ﷺ قد سُقي دواءً خطأً في علاجه فقد تخيلت «أسماء بنت عميس» أنّ مرضَه ـ ذات الجنب ـ تعلمت علاجه من عقار مركب من نبات وأعشاب من الحبشة، إلاّ أنّ النبيّ ﷺ لما عَلِمَ بالدواء، ذكر بأنّ مرضه ليس ذات الجنب.

اللحظات الأخيرة :

في هذه الفترة الحرجة، كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) تلازم فراش والدها ﷺ لا تفارقه لحظة، وفجأة طلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها، فراح يكلّمها بصوت خفيفٍ لم يُعرَف، ولكن الزهراء (عليها السلام) بكت بشدّة إلاّ أنّ النبي ﷺ أشار إليها مرّة أُخرى فحدّثها بشيء آخر فرحت به وتبسمت مستبشرة، ولم تكشف عن ذلك إلاّ بعد وفاة النبي ﷺ بناء على إصرار عائشة: «أخبرني رسول اللّه ﷺ أنّه قد حضر أجلُه وأنّه يُقبَض في وجعه، فبكيت، ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت». وفي آخر لحظة من حياته الشريفة طلبَ الإمام عليّاً (عليه السلام) قائلاً: «أُدعوا لي أخي». فعرف الجميع بأنَّه يريد عليّاً (عليه السلام) فدعَوا له عليّاً، فقال له: «أُدن منّي فدنا منه، فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه». وسأل رجل ابن عباس: هل توفّي رسول اللّه ﷺ في حِجر أحد؟ قال: توفّي وهو مستند إلى صدر علي وهو الذي غسَّله وأخي الفضلُ بن عباس وقيل إن آخر جملة نطق بها الرسول ﷺ هي (لا، إلى الرفيق الأعلى) فكأن ملك الموت خيّرة عند قبض روحه الشريفة في أن يصحُ من مرضه أو يلبّي دعوة ربّه، فاختار اللحاق بربّه، وسأل كعب الاَحبار عن آخر كلمة قالها الرسول ﷺ فقال الإمام علي (عليه السلام) : أنّه قال: الصلاة..الصلاة، وقد ترك الدنيا

ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشر للهجرة، فَسُجّي ببرد يماني، ووُضع في حجرته بعض الوقت، وارتفعت صرخات العيال، وعلا بكاء الاَقارب، وانتشر نبأ وفاته في كلّ أنحاء المدينة التي تحولت إلى مأتم كبير وقام الإمام علي (عليه السلام) بغسل جسده الشريف وكفّنه، إذ أنّه كان قد ذكر «يغسّلني أقربُ الناس إليّ». وصلّى عليه مع المسلمين، وتقرر دفنُه في حجرته المباركة وحفر قبره أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، ودفنه الإمام علي (عليه السلام) يساعده الفضل بن العباس ولمّا فرغ الإمام (عليه السلام) من غسله ﷺ كشف الاِزار عن وجهه ﷺ وقال والدموع تنهمر من عينيه: بأبي أنت و أُمّي، طبت حَيّاً وطبتَ ميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوة والاَنباء، ولولا أنّك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لاَنفدنا عليك ماءَ الشؤون، ولكان الداءُ مماطلاً، والكمَدُ محالِفاً وقلاّ لك، ولكنّه ما لا يُملَك ردّه ولا يستطاع دفعه بأبي أنت وأُمّي أُذكرنا عند ربّك واجعلنا من بالك». وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية، وأعظم رسولٍ إلهيٍ فتح أمام الاِنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام

قلة أولئك الرجال الذين هم على نسج عليٍّ بن أبي طالب... تنهد بهم الحياة، موزعين على مفارق الأجيال كالمصابيح، تمتص حشاشاتها لتفنيها هدياً على مسالك العابرين، وهم على قلتهم كالأعمدة تنفرج فيما بينها فسحات الهياكل، وترسو على كواهلها أثقال المداميك، لتومض من فرق مشارفها قبب المنائر، وإنهم في كل ذلك كالرَّواسي تتقبل هوج الأعاصير وزمجرة السُّحب لتعكسها من مصافيها على السفوح خيرات رقيقة، رفيقة عذبة المدافق، ومن بين هؤلاء القلة يبرز وجه علي بن أبي طالب في هالة من رسالة وفي ظلٍّ من نبوة، فاضتا عليه انسجاماً واكتمالاً كما احتواهما لوناً وإطاراً، وهكذا توفرت السانحة لتخلق في أكلح ليل طالت دجيته على عصر من عصور الإنسان فيه من الجهل والحيف ما يضم ويذل.. رجلاً تزاخرت فيه وفرة كريمة من المواهب والمزايا، لا يمكن أن يستوعبها إنسان دون أن تقذف به إلى مصافِ العباقرة، وهكذا الدخول إلى هذه الشخصية ليس أقل حرمة من الولوج إلى المحراب، وإني أدرك الصعوبة في كل محاولة أقوم بها في سبيل جعل الحرف يطيع لتصوير هذا الوجه الكريم، لأن التصوير يهون علية أن يلتقط بالأشكال والأعراض، في حين يدق عليه أن يتقصىّ ما خلف الأعراض من معانٍ وألوان، وعلي بن أبي طالب هو بتلك الألوان أكثر مما هو بتلك الأعراض، وإنه عصيّ على الحرف بتصويره بقدر ما هو قصيّ عليه بمعانيه، فهو لم يأت دنياه بمثل ما يأتيها العاديُّون من الناس، جماعات جماعات، يأتي الناس دنياهم يقضون فيها لبنات العيش ثم عنها بحكم المقدَّر يرتحلون لا تغمرهم بعد آجالهم إلاّ موجة النسيان.. أما هو، فلقد أتى دنياه، أتاها وكأنه أتى بها.. ولما أتت عليه بقي وكأنه أتى عليها، الحقيقة إن بطولته هي التي كانت من النوع الفريد، وهي التي تقدر أن تقتلع ليس فقط بوابة (حصن خيبر) بل

حصون الجهل برمتها، إذ تتعاجف لياليها على عقل الإنسان، كل ذلك لأخلُص إلى القول أنَّه يكون من باب الفضاضة أن نربط عبقرية رجل كعلي بن أبي طالب بخيوط الأحداث التي بعثرتها حوله ظروف كئيبة كما تبعثر الريح في الجو بعض الغيوم، فالأحداث التي مرَّت على جانبيه لم يكن لها أي شأن في تغيير جوهر ذلك المعدن الذي انغلقت عليه شخصيته الفذَّة، كالغيوم عينها التي تتغشى بها صفحة الفضاء لا يمكنها بحال من الأحوال أن تطفئ الشمس، وبالتالي إن هذه الأحداث ليست غير أشكال وأعراض، ومهما تتكثّف ومهما يكثّفها المغرضون، فإنَّ جوهر ابن أبي طالب يلبث خلفها كما تلبث الشمس خلف الغمام.

ومن هنا: إن كل قول في علي بن أبي طالب يحصره في مكان أو زمان يبقى حديثاً له قيمة السرد، ويبقى حروفاً مقفلة لا تنفذ إليها ألوان المعاني، أما إذا كان علي بن أبي طالب قد حصره التجوال لفترة قصيرة من الزمن بين البصرة والكوفة أو بين مكة والمدينة، فإن ذلك لم يمنع كونه أبداً ذلك العدّاء الذي كانت مواقع خطواته أبعد من محط هذه الأماكن، وهكذا لا تزال الدنيا بأجيالها تغرف الطيب من أفاويهك، يا أيها الوجه الكريم من سنا ريَّك.

في القرآن :

روى الخطيب بإسناده عن ابن عباس، قال: (نزلت في علي ثلاثمائة آية). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس، قال: (ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي). وروى بإسناده عن مجاهد، قال: (نزلت في علي سبعون آية ما شركه فيها أحد). وروى بإسناده عن يزيد بن رومان، قال: (ما نزل في أحد من القرآن ما نزل في علي بن أبي طالب، وعنه، قال: ما انزل في حق أحد ما أنزل في علي من الفضل في القرآن). وروى بإسناده عن مجاهد، قال: (ما أنزل الله آية

في القرآن إلا علي رأسها). وروى بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (لقد نزلت في علي ثمانين آية صفواً من كتاب الله ما يشركه فيها أحد من هذه الأمة). وروى بإسناده عن ابن عباس قال: (أخذ النبي ﷺ يدي ويد علي بن أبي طالب وخلا بنا على بثير، ثم صلى ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: إن موسى بن عمران سألك، وأنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري وتيسر لي أمري وتحلل عقدة من لساني ليفقه به قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي اشدد به ازري، وأشركه في أمري، قال ابن عباس: سمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت، فقال النبي ﷺ لعلي: يا أبا الحسن ارفع يدك إلى السماء فادع ربك وسل يعطك، فرفع علي يده إلى السماء وهو يقول: (اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك وداً فأنزل الله على نبيه: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) فتلاها النبي ﷺ على أصحابه فتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً فقال النبي ﷺ منها تتعجبون إن القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي كرائم القرآن). وروى بإسناده عن حذيفة: أن أناساً تذاكروا فقالوا: ما نزلت آية في القرآن فيها (يا أيها الذين آمنوا) إلا في أصحاب محمد ﷺ فقال حذيفة ما نزلت في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) إلا كان لعلي لبها ولبابها روى الكنجي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: ما نزلت آية فيها: (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلي رأسها وأميرها وشريفها ولقد عاتب الله عز وجل أصحاب محمد ﷺ في غير آي من القرآن وما ذكر علياً إلا بخير، روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس، قال: ما أنزل الله في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) إلا كان علي بن أبي طالب أميرها وشريفها لأنه أول المؤمنين إيماناً.

سورة الفاتحة:

(إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: أنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت يعسوب المؤمنين. وروى بإسناده عن مسلم بن حنان عن أبي بريدة في قول الله (إهدنا الصراط المستقيم) قال: (صراط محمد وآله). وروى بإسناده في قول الله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) قال: يقول: قولوا معاشر العباد: إهدنا إلى حب النبي وأهل بيته. وروى بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: (قال رسول الله ﷺ إن الله جعل علياً وزوجته وابناءه حجج الله على خلقه وهم أبواب العلم في أمتي ومن اهتدى بهم هُدي إلى صراط مستقيم.

قال السيد شهاب الدين أحمد: مما قال أمير المؤمنين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنبر...أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المستقيم. روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ أن تولوا علياً ـ ولن تفعلوا ـ تجدوه هادياً مهدياً يسلك. وروى بإسناده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه في قول الله تعالى: (صراط الذين أنعمت عليهم) قال: النبي ومن معه وعلي بن أبي طالب وشيعته. قال سبط ابن الجوزي: قال ابن عباس: وقد سُئل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن الفاتحة، قال: نزلت من كنز تحت العرش، ولو ثنيت لي الوسادة لذكرت في فضلها حمل بعير ذكر، وليس في القرآن آية إلا وأنا أعلم متى، وفي أي شيء نزلت) وروى علي بن إبراهيم بإسناده عن حماد عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله الصراط المستقيم قال هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفته والدليل على أنه أمير المؤمنين، قوله: (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)، وهو أمير المؤمنين (عليه السلام).

سورة البقرة:

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن عبد الله بن عباس في قول الله عز وجل (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) يعني لا شك فيه أنه من عند الله نزل (هدى) يعني بياناً ونوراً. (للمتقين) علي بن أبي طالب الذي لم يشرك بالله طرفة عين، اتقى الشرك وعبادة الأوثان واخلص لله العبادة، يبعث إلى الجنة بغير حساب هو وشيعته. روى علي بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبد الله قال: الكتاب علي (عليه السلام) لا شك فيه (هدى للمتقين) قال بيان لشيعتنا قوله: (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) قال مما علمناهم ينبئون ومما علمناهم من القرآن يتلون.

(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن علي بن أبي طالب قال: قال لي سلمان: قلما اطلعت على رسول الله ﷺ وأبو الحسن وأنا معه، إلا ضرب بين كتفي وقال: يا سلمان هذا وحزبه المفلحون.

(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: (آمنوا كما آمن الناس) قال: علي بن أبي طالب، وجعفر الطيار، وحمزة، وسلمان، وأبو ذر، وعمار، ومقداد، وحذيفة بن اليمان وغيرهم.

(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون). روى الخوارزمي بإسناده عن ابن عباس: أن عبد الله بن أُبي وأصحابه خرجوا فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم علي، فقال عبد الله بن أُبي لأصحابه: انظروا كيف أراد ابن عم رسول الله ﷺ وسيد بني هاشم رسول الله ﷺ فقال علي (عليه السلام) لابن أُبي: يا عبدالله اتق الله، ولا تنافق، فإن المنافقين شر خلق

الله، فقال: مهلاً يا أبا الحسن فإن إيماننا كإيمانكم، ثم تفرقوا فقال عبد الله بن أُبي لأصحابه، كيف رأيتم ما فعلت فاثنوا عليه خيراً ونزل على رسول الله ﷺ (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) فدلت الآية على إيمان علي (عليه السلام) ظاهراً وباطناً، وعلى قطعه موالاة المنافقين وإظهاره عداوتهم، والمراد بالشياطين رؤساء الكفار. روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية قال: (بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد اقبل من خارج المدينة، ومعه سلمان الفارسي وعمار وصهيب والمقداد، وأبو ذر، إذ بصر بهم عبد الله بن أُبي بن سلول المنافق ومعه أصحابه، فلما دنا أمير المؤمنين قال عبد الله بن أُبي: مرحباً بسيد بني هاشم وصي رسول الله وأخيه وختنه وأبي السبطين الباذل له ماله ونفسه، فقال: ويلك يا بن أُبي أنت منافق أشهد عليك بنفاقك، فقال بن أُبي: وتقول مثل هذا لي، والله إني لمؤمن مثلك ومثل أصحابك، فقال علي: ثكلتك أمك ما أنت إلا منافق ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما جرى فأنزل الله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا) يعني: وإذا لقي ابن سلول أمير المؤمنين المصدق بالتنزيل قالوا آمنا، يعني صدقنا بمحمد والقرآن، (وإذا خلوا إلى شياطينهم) من المنافقين قالوا: إنّا معكم في الكفر، والشرك، (إنما نحن مستهزؤون) بعلي بن أبي طالب وأصحابه يقول الله تعالى لهم: (الله يستهزئ بهم) يعني يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بعلي وأصحابه.

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون). روى الحيري الكوفي بإسناده عن ابن عباس قال: فيما نزلت من القرآن في خاصة رسول الله وعلي وأهل بيته دون الناس من سورة البقرة: (وبشر

الذين آمنوا وعملوا الصالحات). الآية نزلت في علي، وحمزة، وجعفر وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.
(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: إني أعلم ما لا تعلمون). روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: (وقعت الخلافة من الله عز وجل في القرآن لثلاثة نفر: لآدم (عليه السلام) لقول الله عز وجل (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) يعني آدم، وقالوا: (اتجعل فيها) يعني اتخلق فيها (من يفسد فيها) يعني يعمل بالمعاصي بعدما صلحت بالطاعة، نظيرها: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) يعني لا تعملوا بالمعاصي بعد ما صلحت بالطاعة، نظيرها: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها) يعني ليعمل فيها بالمعاصي (ونحن نسبح بحمدك) يعني نذكرك (ونقدس لك) يعني ونطهر لك الأرض، (قال إني أعلم ما لا تعلمون) يعني سبق في علمي أن آدم وذريته سكان الأرض وأنتم سكان السماء. والخليفة الثاني: داواد (صلوات الله عليه) لقوله تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) يعني أرض بيت المقدس. والخليفة الثالث: علي بن أبي طالب لقول الله تعالى: (وليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) (يعني آدم وداود) وروى بإسناده عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن وصيي وخليفتي وخير من أترك بعدي ينجز موعدي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.

(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين). روى السيوطي بإسناده عن ابن عباس قال: (سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: ﷺ سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تُبت علي فتاب عليه. وروى الخوارزمي بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى

(واركعوا مع الراكعين) نزلت في رسول الله ﷺ وعلي خاصة، وهو أول من صلى وركع. وروى بإسناده عن ابن عفيف الكندي عن أبيه عن جده قال: قدمت مكة لأبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فأويت إلى العباس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً فإذ أنا جالس عنده انظر إلى الكعبة وقد طلعت الشمس في السماء وارتفعت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم قام مستقبل الكعبة، فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرآة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة فقلت: يا عباس أمر عظيم، فقال العباس: نعم أمر عظيم، تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا ابن أخي هل تدري من هذا الغلام؟ قلت: لا قال: هذا علي بن أبي طالب هذا ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ قلت: لا قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجته، ان ابن أخي هذا أخبر أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة). روى الحيري بإسناده عن ابن عباس، قوله: (واركعوا مع الراكعين) أنها نزلت في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) وهما أول من صلى وركع.

ولادته (وليد الكعبة) :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف (عليها السلام) أحست السيدة فاطمة بنت أسد بوجع الولادة وهي في الشهر التاسع من الحمل، وأقبلت إلى المسجد الحرام وطافت حول الكعبة، ثم

وقفت للدعاء والتضرع إلى الله تعالى ليسهل عليها أمر الولادة، قائلة : يا رب إني مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته، وبكل رسول أرسلته...ومصدقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وقد بنى بيتك العتيق وأسألك بحق أنبياءك المرسلين، وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي..إلا يسرت عليّ ولادتي. إنتهى دعاء السيدة، وانشق

أقسم بالله وآلائه .. والمرء عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب .. على التقى والبر مجبول
كان إذا الحرب مرتها القنا .. وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه .. أبيض ماضي الحد مصقول
مشي العفرنا بين أشباله .. أبرزه للقنص والغيل
ذاك الذي سلم في ليلة .. عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في .. ألف ويتلوهم اسرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا .. كأنهم طير أبابيل

جدار الكعبة من الجانب المسمى (بالمستجار) ودخلت السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة، وارتأب الصدع، وعادت الفتحة والتزقت وولدت السيدة ابنها علياً هناك. من المعلوم: أن للكعبة باباً يمكن منه الدخول والخروج، ولكن الباب لم ينفتح، بل انشق الجدار ليكون أبلغ وأوضح وأدل على خرق العادة وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة. والغريب: أن الأثر لا يزال موجوداً على جدار الكعبة حتى اليوم بالرغم من تجدد بناء الكعبة في خلال هذه القرون، وقد ملأوا أثر الانشقاق بالفضة والأثر يرى بكل وضوح على الجدار المسمى بالمستجار، والعدد الكثير من الحجاج يلتصقون بهذا الجدار ويتضرعون إلى الله تعالى في حوائجهم، ووصل الخبر إلى أبي طالب، فأقبل هو وجماعة وحاولوا ليفتحوا باب الكعبة حتى تصل النساء إلى فاطمة ليساعدنها على أمر الولادة، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب، فعلموا أن

هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى، وبقيت السيدة في الكعبة ثلاثة أيام وانتشر الخبر في مكة، وجعل الناس يتحدثون به حتى النساء، وازدحم الناس في المسجد الحرام، ليشاهدوا مكان الحادثة، حتى كان اليوم الثالث، وإذا بفاطمة قد خرجت ـ من الموضع الذي كان قد انشق لدخولها ـ وعلى يدها صبي كأنه فلقة قمر وأسرعت الجماهير المتجمهرة إليها فقالت: معاشر الناس، إن الله عز وجل اختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممن مضى قبلي، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عبدت الله سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا إضطراراً، ومريم بنت عمران، حيث هانت ويسرت ولادة عيسى فهزت الجذع اليابس من النخلة في فلاة من الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً وإن الله تعالى اختارني (فضلني) عليها وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأني ولدت في بيته العتيق، وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنة وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل.

محبة الرسول لعلي :

قال رسول الله ﷺ لفاطمة بنت أسد: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان رسول الله ﷺ يلي علياً أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله ويوجره اللبن (يجعله في فمه) عند شربه، ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخي ووليي، وصفيي وذخري وكهفي وظهري، ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها. وأخذ رسول الله ﷺ علياً، فانتخبه لنفسه فأصطفاه لمهم أمره وعول عليه في سره وجهره، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته، وكان رسول الله ﷺ في ابتداء طروق الوحي إليه، كلما هتف به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً (عليهما السلام) ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة تُثبته وتصبّره، وكان علي (عليه السلام) يهنئه ويبشره ويقول له: والله يا ابن عم ما كذب عبدالمطلب فيك، ولقد صدقت الكهّان فيما نسبته إليك، ولم يزل كذلك إلى أن أمر ﷺ بالتبليغ. فكان أول من آمن به من النساء خديجة، ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمره يومئذ عشر سنين، وكانت السيدة خديجة الكبرى

(عليها السلام) تشاهد النبي يعطف ويحنو على علي (عليه السلام) ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزينه وتحليه وتلبسه وترسله مع جواريها، ويحمله خدمها وكان علي (عليه السلام) له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان، ولا أقصد من كلمتي هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء بل المقصود: أن إيمان علي (عليه السلام) بالله كان فوق كل غريزة وكل إتجاه، مع العلم أنه كان يومذاك في ريعان الشباب، والشاب أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذي قضى وطره في حياة الدنيا، مع ذلك لم يكن علي (عليه السلام) يعرف للخوف معنى، ولا للجبن مفهوماً في نفسه، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعُجم، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه، وقد شارك هذا الإمام العظيم الرسول الكريم فى معارك كثيره نذكر منها معركة بدر.

علي يوم بدر :

في البحار: قال الإمام الباقر (عليه السلام): انتدب رسول الله ﷺ ليلة بدر إلى الماء، فانتدب علي (عليه السلام)، فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلواً فنزل في الجب تلك الساعة، فملأ قربته، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت، ثم قام ثم مرت به ريح أخرى فجلس حتى مضت ثم قام، ثم مرت به أخرى فجلس حتى مضت، فلما جاء إلى النبي قال له النبي ﷺ : ما حبسك يا علي؟ قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة، فقال: أتدري ما كان ذلك يا علي؟ قال: لا

فقال: ذاك جبريل مر في ألف من الملائكة وقد سلم عليك وسلموا، ثم مر ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا، ثم مر إسرافيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا. وفي هذه الليلة اختص أمير المؤمنين (عليه السلام) بثلاثة آلاف فضيلة وثلاث فضائل، لتسليم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه. وفيها يقول الحميري:

علي في مصيبة الزهراء :

كانت مصيبة وفاة الرسول ﷺ من أوجع الفجائع على قلب علي (عليه السلام) ولولا إيمان علي وصبره على المصيبة لمات حزناً في تلك المأساة، إذ ما فارق الحزن قلب علي حتى فارق الحياة، فسرعان ما ابيضت لحيته الكريمة فقيل له: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين. فقال (عليه السلام): الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة، يريد بها وفاة رسول الله ﷺ ولم يختضب الإمام طيلة أيام حياته لهذا السبب ولأن رسول الله ﷺ أخبره بخضاب خاص، فقد روى ابن نباته قال: قلت لأم لأمير المؤمنين (عليه السلام): ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول الله ﷺ قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتي من دم رأسي، بعهد معهود أخبرني به حبيبي رسول الله. ولما فارق النبي الحياة وهو بعد لم

يدفن اجتمع الناس في موضع يقال له (السقيفة) وقد رشح سعد بن عبادة نفسه للإمارة وهو سيد الخزرج، وأسيد بن حصين أو بشير بن سعد قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس، وبين الأوس والخزرج عداء وتنافس قديم، ودخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام المرشحين للإمارة والرئاسة، وتكلم أبو بكر ودعا الناس إلى عمر أو أبي عبيدة، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبا بكر وجرى كلام ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبي بكر وأهل السقيفة، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتم. وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة، وتضعيفاً لجانب سعد بن عبادة (منافسه) وافق على تأمير أبي بكر، وضم صوته إلى صوت عمر وأبي عبيدة وقال: أنا ثالثكما، ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا رئيسهم وأقبلوا إلى أبي بكر وبايعوه، وكاد سعد بن عبادة يموت تحت الأقدام فصاح قتلمتوني فصاح عمر: اقتلوا سعداً قتله الله. وهكذا وقع الانتخاب، وبويع لأبي بكر بالخلافة، وذهبت مساعي النبي (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح، وصارت تلك الجهود هباء منثوراً ! وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن تُخدش، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة في الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ ومشهورة عند المسلمين، ونذكر جملة عن موقف الإمام في ذلك العهد فلقد أخذوا البيعة من الناس لأبي بكر، وجاؤا إلى علي ليخرجوه من البيت ليبايع لأبي بكبر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول في بيتها، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد، وخرجت فاطمة خلفهم وهي بأشد الأحوال، إذ إنها أجهضت جنينها فكأنها نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح: خلوا عن ابن عمي؟ خلوا عن بعلي ! والله لأكشفن عن رأسي ولأضعن قميص أبي على رأسي وأدعوا عليكم ووصلت إلى باب المسجد

فرأت منظراً مؤلماً لا نستطيع أن نصفه إلا إنها استطاعت أن تخلص زوجها من أيدي الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه ورافقت زوجها إلى البيت سالماً.

أظلمّت الدنيا في عين علي (عليه السلام) وضاقت عليه الأرض بما رحبت، لأنه فقد الرسول الأعظم ﷺ ومصيبة النبي أعظم مصيبة على قلب كل أحد، ولم تنته الكارثة فقد خيمت الأحزان على بيت علي وانقلب البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلى مصائبها ونوائبها التي استولت على قلبها المجروح، ولم تجد من الناس أي تعزية وتسلية ومما زاد في حزنها إخراج أراضيها (فدك) من يدها وهناك قضايا وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة (عليها السلام)، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها، فكانت تبكي ليلها ونهارها ومنعوها عن البكاء، فكانت تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أمير المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) وعاشت بعد أبيها مظلومة مهضومة باكية العين محترقة القلب منهدة الركن معصبة الرأس حليفة الفراش عليلة مريضة. ودخل عليها علي (عليه السلام) قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد؟ فقالت: يا ابن عم إنه قد نعيت إلى نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحقة بأبي، ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي (عليه السلام): أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا أبن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني قال علي (عليه السلام): معاذ الله أنت أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي، وقد عز علي مفارقتك وفقدك، إلا إنه أمر لا بد منه، والله لقد جددتِ عليّ مصيبة رسول الله ﷺ ولقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله

وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها. ثم بكيا جميعاً، وأخذ علي رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفياً، أمضي كل ما أمرتني به وأختار أمرك على أمري. فقالت: جزاك الله عني خير الجزاء، يا ابن عم أوصيك أولاً: أن تتزوج بعدي بإبنة أختي أُمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء أوصيك يا ابن عم: أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا لي صورته، فقال لها: صفيه لي فوصفته، فاتخذه لها. ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلي علي أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار إلى آخر وصاياها...ثم فارقت روحها الطاهرة (عليها السلام) الحياة، وانتشر الخبر فصاح أهل البيت صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن، وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة، فخرج أبو ذر ونادى: إنصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أُخّر إخراجها هذه العشية فتفرق الناس، وجن الليل ومضى شطر منه، فقام علي (عليه السلام) وغسل إبنة رسول الله من على ثيابها وحنطها بفاضل حنوط أبيها رسول الله وكفّنها في أكفانها ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وعقيل وبريدة ونفر من بني هاشم فلما حضروا صلّى عليها علي ودفنوها بجوار أبيها ﷺ.

وقد اختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ فقيل: عاشت بعد أبيها أربعين يوماً، أو خمساً وسبعين يوماً، أو خمساً وتسعين يوماً، أو ستة أشهر، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي ﷺ، إنهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء وقد وازدادت مصيبته بأطفاله الأربعة (الحسن

والحسين وزينب وأم كلثوم) الذين فقدوا أمهم في عنفوان شبابها بعد أن فجعوا بجدهم البار العطوف الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي ويشملهم عطفه النبوي، ومما زاد في أحزان الإمام وبلغ به الإضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سرية، كمباشرته تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سراً لا جهاراً وليلاً لا نهاراً وإخفاء موضع قبرها، وغير ذلك من الأمور التي كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وإنجازها، فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها امرأة غريبة لا يعرفها أحد، وكأنها ليست ببضعة رسول الله وحبيبته، وأبنته الوحيدة !! وكان الإمام (عليه السلام) يتجلّد في تلك المصيبة رعاية ليتامى فاطمة، إلى أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطّلع عليه أحد، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها، إلى أن أدى جميع الوصايا كما ينبغي، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: (السلام عليك يا رسول الله السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك النازلة بجوارك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة الناس تجلدي، إلا أن لي في التأسي بسنتك والحزن الذي حلّ بي لفراقك موضع التعزي ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري، وغمضتك بيدي، وتوليت أمرك بنفسي، وفي كتاب الله أنعم القبول، وإنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله: أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهد لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم كمدٌ مقيّح وهمٌّ مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا، إلى الله أشكو وستنبئك إبنتك بتظاهر أمّتك علي، وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله

وهو خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول الله، سلام مودّع لا سئيم ولا قالٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله مع الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبث عنده عكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله ـ يا رسول الله ـ المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته). ثم جعل يقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة .. وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقةً .. وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ .. دليل على أن لا يدوم خليل
نفسي على زفراتها محبوسة .. يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما .. أبكي مخافة أن تطول حياتي

زواج علي بعد فاطمة :

إضطر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة سيدة نساء العالمين أن يبادر إلى إختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الإمام الذين فقدوا أمهم في عنفوان شبابها فقدوها وهم براعم صغار لم تتفتح بعد، إذ كان الإمام الحسن وهو أكبر أولاد الإمام عمره يومذاك سبع سنوات وشهوراً وكان الإمام الحسين أصغر منه بستة أشهر وأيام وكذلك السيدة زينب وأختها أم كلثوم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الزهراء قد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج علي بالسيدة أُمامة وهي حفيدة رسول الله إذ أنها كانت بنت زينب بنت رسول الله، وتنفيذاً لهذه الوصية بادر الإمام إلى الزواج بأمامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء

أزواج الإمام وأولاده :

كان له (عليه السلام) سبعة وعشرون من الأولاد ذكوراً وإناثاً:

1 ـ الإمام الحسن والإمام الحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

2 ـ محمد بن الحنيفة وأمه خولة بنت جعفر.

3 – عمر ورقية، وكانا توأمين، وأمهما الصهباء، ويقال أم حبيب التغلبية. 4 – أبو الفضل العباس وجعفر وعثمان وعبد الله، وأمهم فاطمة أم البنين بنت حزام بن خالد الكلابية، استشهدوا يوم الطف في نصرة الحسين (عليه السلام).

5 – يحيى وعون وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية.

6 – محمد الأصغر المكنى أبا بكر، وعبيد الله وأمهما: ليلى بنت مسعود الدارمية وقتلا يوم الطف.

7 – خديجة وأم هاني وميمونة وفاطمة وأمهن: أم ولد جارية.

8 – أم الحسن ورملة وأمهما: أم شعيب الدارمية وقيل: أم سعيد وقيل: أم مسعود المخزومية.

9 – نفيسة وزينب الصغرى وأم سلمة وأم الكرام وجمانة لأمهات شتى.

وأما أولاده الذين أعقبوا فهم خمسة: الحسن والحسين (عليهما السلام) ومحمد بن الحنيفة والعباس وعمر، ومات عدد من الأولاد والبنات في أيام حياة الإمام (عليه السلام). ولم يتزوج علي ما دامت الزهراء كانت على قيد الحياة كرامة لها، كما أن رسول الله لم يتزوج ما دامت خديجة على قيد الحياة، ولعل السبب في عدم تزويج علي في حياة فاطمة الزهراء هو قول الرسول ﷺ: من آذاها فقد آذاني، هذا والمعروف: أن علياً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأربع حرائر وملك عشر إماء وقد روي في المناقب عن الشيخ المفيد أن أولاده خمسة وعشرون وربما يزيدون على ذلك إلى خمسة وثلاثين.

علي طريح الفراش :

بياناً لشرح الواقعة والدهشة التي استولت على الناس إثر استماع الصيحة السماوية وانتشار الخبر في الكوفة بأسرع ما يكون، وأقبلت الجماهير تتراكض إلى المسجد (محل الحادثة) حتى المخدرات خرجن من خدورهن، وغص المسجد الجامع بالناس، فلا ترى إلا صفق الأيدي على الرؤوس ولا تسمع إلا أصوات النياحة وصرخات الناس، وقد أزدحم الناس حول الإمام ينظرون إلى ذلك البطل الذي كان يخوض غمار الموت، وكانت الأسود تخاف من بأسه وإسمه، ينظرون إليه وقد إبيضّ وجهه من نزف الدم، وصلّى الإمام صلاة الصبح من جلوس، ثم قال احملوني إلى منزلي، فحملوه والناس حوله يبكون وينتحبون، وكان الحسن والحسين أشد الناس بكاءً وحزناً، فكان الحسين (عليه السلام) يبكي ويقول: يا أبتاه من لنا بعدك؟ لا يوم كيومك إلا يوم رسول الله، من أجلك تعلمت البكاء، يعز والله علي أن أراك هكذا، فعزّاه الإمام وسلاه ومسح دموع ولده ووضع يده على قلب ولده وقال: يا بُني ربط الله على

قلبك وأجزل لك ولأخوتك عظيم الأجر، أقبلت بنات رسول الله وسائر بنات الإمام وجلسن حول فراشه ينظرن إلى أسد الله وهو بتلك الحالة فصاحت زينب الكبرى وأختها: أبتاه من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقا ! فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وشاركهم الإمام وفاضت عيناه بالدموع واجتمع الأطباء والجراحون فوصفوا للإمام اللبن، لأن سيف ابن ملجم كان مسموماً، فكان اللبن طعامه وشرابه، ودعي الإمام بولديه وجعل يقبّلهما ويحصّنهما لأنه علم أنه سيفارقهما وكان يغمى عليه ساعة بعد ساعة، فناوله الحسن قدحاً من اللبن فشرب منه قليلاً، ثم نحاه عن فمه وقال: احملوه إلى أسيركم ! ثم قال للحسن: يا بني بحقي عليك إلّا ما طيبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتي ! وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه ! وكان اللعين ابن ملجم محبوساً في بيت، فحملوا إليه اللبن وأخبروه بعطف الإمام وحنانه على قاتله، فشرب اللعين اللبن، قال محمد بن الحنيفة: بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبي وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلي تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزّينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر، فلما أُصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول فدخلوا عليه واقبلوا يسلمون عليه وهو يرد (عليهم السلام) ثم يقول: أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم، فبكى الناس بكاءً شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه حجر بن عدي الطائي وقال:

فيا أسفي على المولى النقي .. أبي الأطهار حيدرة الزكي
قتله كافر حنث زنيم .. لعين فاسق نغل شقي

إلى آخر أبياته، فلما بصر الإمام وسمع شعره قال له: كيف بك إذا دعيت إلى البراءة مني؟ فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لي النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك، فقال (عليه السلام): وُفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله عن أهل بيت نبيك. ثم قال هل من شربة لبن؟ فأتوه بلبن فشربه كله فذكر (عليه السلام) ابن ملجم وأنه لم يترك له من اللبن شيئاً فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أعلموني أني شربت الجميع، ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا ألا وإنه آخر رزقي من الدنيا فبالله عليك ـ يا بني ـ إلا ما سقيته مثل ما شربت، فحمل إليه اللبن فشرب، كان الناس متجمهرين على باب الإمام ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام في حق ابن ملجم، فخرج إليهم الإمام الحسن وأمرهم عن قول أبيه بالانصراف، فانصرف الناس وكان الأصبغ بن نباته جالساً فلم ينصرف، فخرج الإمام الحسن مرة ثانية وقال: يا أصبغ أما سمعت قولي عن أمير المؤمنين؟ قال: بلى ولكني رأيت حاله، فأحببت أن أنظر إليه فاسمع منه حديثاً، فاستأذن لي رحمك الله. فدخل الحسن ولم يلبث أن خرج فقال له: أدخل. قال الأصبغ فدخلت فإذا أمير المؤمنين معصب بعصابة، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم، فقال لي: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثاً، فقال لي: أقعد، فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذ إعلم يا أصبغ: أني أتيت رسول الله ﷺ عائداً كما جئت الساعة فقال: يا أبا الحسن أخرج فنادِ في الناس: الصلاة جامعة، واصعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة، وقل للناس: ألا من عق والديه فلعنة الله عليه، ألا من أبق مواليه فلعنة الله عليه، ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه، يا أصبغ: ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول

الله، فقام من أقصى المسجد رجل فقال: يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات أوجزتهن (اختصرتهن) فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول الله ﷺ فقلت ما كان من الرجل، قال الأصبغ: ثم أخذ بيدي وقال: يا أصبغ أبسط يدك، فبسطت يدي، فتناول أصبع من أصابع يدي وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول الله الحسن، ألا وإني وأنت أبوا هذه الأمة، فمن عقنا فلعنة الله عليه، ألا وإني وأنت موليا هذه الأمة فعلى من أبق عنا لعنة الله، ألا وإني وأنت أجيرا هذه الأمة، فمن ظلمنا أجرنا فلعنة الله عليه، ثم قال: آمين. فقلت آمين.

قال الأصبغ: ثم أغمي عليه ثم أفاق فقال لي: أقاعد أنت يا أصبغ؟ قلت: نعم يا مولاي قال: أزيدك حديثاً آخر؟ قلت نعم زادك الله من مزيدات الخير، قال: يا أصبغ: لقيني رسول الله ﷺ في بعض طرقات المدينة وأنا مغموم، قد تبين الغم في وجهي، فقال لي: يا أبا الحسن أراك مغموماً؟ ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً؟؟ قلت: نعم. قال: إذا كان يوم القيامة نصب الله منبراً يعلو منبر النبيين والشهداء ثم يأمرني الله أن أصعد فوقه ثم يأمرك الله أن تصعد دوني بمرقاة ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمرقاة، فإذا استقللنا على المنبر لا يبق أحد من الأولين والآخرين إلا حضر، فينادي الملك الذي دونك بمرقاة: معاشر الناس ألا من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد، وإن محمداً أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب، فاشهدوا لي عليه، ثم يقوم ذلك الذي تحت ذلك الملك بمرقاة منادياً يسمع أهل الموقف: معاشر الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا مالك (خازن) النيران، ألا إن الله ـ بمنه وكرمه وفضله وجلاله ـ قد أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد وإن محمداً قد أمرني أن أدفعها إلى علي بن أبي طالب فاشهدوا لي عليه، فآخذ مفاتيح الجنان والنيران فقال رسول الله ﷺ يا علي ستأخذ

بحجزتي وأهل بيتك يأخذون بحجزتك، وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك. قال الإمام: فصفقت بكلتا يدي وقلت: وإلى الجنة يا رسول الله؟ قال: إي ورب الكعبة.

علي (عليه السلام) يفارق الحياة :

عظم الله أجوركم بمصيبة سيدنا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقد جمعوا له أطباء الكوفة ومن جملتهم: أثير بن عمرو بن هاني السكوني فلما نظر إلى جرح رأس الإمام طلب رئة شاة حارة فاستخرج منها عرقاً ثم نفخه ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ كأنه قطن مندوف فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك وأوص وصيتك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. قال محمد بن الحنيفة: لما كانت ليلة إحدى وعشرين جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم ثم قال لهم: الله خليفتي عليكم، وهو حسبي ونعم الوكيل وأوصاهم بلزوم الإيمان.. وتزايد ولوج السم في جسده حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً، فكبر ذلك علينا وأيسنا منه، ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب، فنظرنا إلى شفتيه يختلجان بذكر الله، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وجعل يودعهم وهم يبكون فقال الحسن: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: يا بني إني رأيت جدك رسول الله ﷺ في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة فقال لي: أدع عليهم فقلت: اللهم أبدلهم بي شراً مني وأبدلني بهم خيراً منهم. فقال لي رسول الله: قد استجاب الله دعاك، سينقلك إلينا بعد ثلاث. وقد مضت الثلاث، يا أبا محمد أوصيك ويا أبا عبد الله خيراً فأنتما مني وأنا منكما ثم ألتفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة (عليها السلام)وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة

يعني الحسن والحسين، ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد ﷺ كما وعدني، فإذا أنا مت ـ يا أبا محمد ـ فغسّلني وكفنّي وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، فأي موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث وُضِع سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم ـ يا أبا محمد ـ وصل علي ـ يا بني يا حسن ـ وكبر عليّ سبعاً، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه: القائم المهدي من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت علي ـ يا حسن ـ فنح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فتفقدني فإنك لا تجدني وإني لاحق بجدك رسول الله ﷺ وأعلم يا بني: ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حط فيه. ثم أشرج اللحد باللبن (جمع لبنة) وأهِل التراب عليُّ ثم غيِّب قبري.

وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وصية أخرى هي من جلائل وصاياه أوصى بها أولاده في مثل هذه الليلة، روى الصدوق في الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين أوصى إلى أبنه الحسن (عليه السلام) وأشهد على وصيته الحسين (عليه السلام) ومحمد وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ثم قال: يا بني أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله ﷺ ودفع إليّ كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك إذا حظرك الموت أن تدفعه إلى أخيك

الحسين (عليه السلام) ثم أقبل على أبنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعه إلى ابنك علي بن الحسين ثم أقبل إلى إبنه علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن علي فأقرأه من رسول الله ﷺ ومني السلام، ثم أقبل على أبنه الحسن فقال: يا بني أنت ولي الأمر بعدي وولي الدم فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم، ثم قال أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحق واعملا للأجر (للآخرة) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي (وأهلي) ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم (بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم) فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين (وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين) ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يُهوّن الله عليكم الحساب، والله الله في الأيتام لا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، والله الله في جيرانكم فإن الله ورسوله أوصيا بهم (فإنه وصية نبيكم) ما زال يوصي بهم حتّى

ظننا أنه سيورثهم، والله الله في بيت ربكم فلا يخلونّ منكم ما بقيتم فإنه إن تُرك لم تناظروا، الله الله في الصلاة فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم، الله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب ربكم، الله الله في صيام شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار، الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان إمام هدى ومطيع له مقتد بهداه، والله الله في ذرية نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في النساء وما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: أوصيكم بالضعيفين: نسائكم وما ملكت أيمانكم ثم قال: الصلاة، الصلاة، الصلاة، ولا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم أشراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم. وعليكم بالتواصل والتباذل والتبار وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، وأستودعكم الله خير مستودع، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. يا بني عبد المطلب: لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون قتل أمير المؤمنين. ألا: لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثّل بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور، هكذا ينهي الإمام (عليه السلام) أولاده عن إقامة المجازر والمذابح لأجل الطلب بدمه كما كان الأمر في قضايا عثمان، يقول: لا تقتلوا إلا قاتلي، ينهاهم عن أصل الفتنة ورجال المؤامرة وأسباب

الفساد ويأمرهم بالاكتفاء بالقصاص من القاتل، ثم ينهي عن قطع أعضائه، ثم عرق جبين الإمام فجعل يمسح العرق بيده فقالت أبنته زينب: يا أبه أراك تمسح جبينك؟ قال: يا بنية سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب، وسكن أنينه، فقامت زينب وألقت بنفسها على صدر أبيها وقالت: يا أبه حدثتني أم أيمن بحديث كربلاء وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنية، الحديث كما حدثتك، أم أيمن، وكأني بك وبنساء أهلك لسبايا بهذا البلد، خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبراً.. ثم التفت الإمام إلى ولديه الحسن والحسين وقال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هنا وهنا فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه، ثم أغمي عليه وأفاق وقال: هذا رسول الله، وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله، وكلهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنّا إليك مشتاقون، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: أستودعكم الله جميعاً، سددكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله، وكفى بالله خليفة، ثم قال: وعليكم السلام يا رسل ربي، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). وما زال يذكر الله، ويستشهد الشهادتين، ثم استقبل القبلة، وغمض عينيه ومدد رجليه ويديه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم قضى نحبه فعند ذلك صرخت زينب بنت علي وأم كلثوم وجميع نسائه وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود، وارتفعت الصيحة في القصر، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد فارق الحياة، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجاً وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والضجيج بالكوفة وقبائلها وجميع أقطارها، فكان ذلك اليوم كاليوم الذي

مات فيه رسول الله ﷺ وتغير أفق السماء، وسمع الناس أصواتاً وتسبيحاً في الهواء، واشتغلوا بالنياحة على الإمام، ثم قام أولاده لتجهيزه ليلاً، ولما جرّدوه عن ثيابه، وجدوا على جسده الشريف آثار ألف جراحة من قرنه إلى قدميه وهي الجراحات التي أصابته في سبيل الله في الحروب، وكان الحسن يغسله والحسين يصب عليه الماء، وكان (عليه السلام) لا يحتاج إلى من يقلبه، بل كان يتقلّب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً، لأن الملائكة كانت تقلّبه وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك، ثم نادى الحسن بأخته زينب وأم كلثوم وقال: يا أختاه هلمّي بحنوط جدي رسول الله، فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة، ولما حنطوه لفوه بخمسة أثواب ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع، ولا يُرى حامله، وكان حاملاه جبرائيل وميكائيل، فما مر بشيء على وجه الأرض إلا انحنى له، وضجّت الكوفة بالبكاء والنحيب، وخرجت النساء خلف الجنازة لاطمات فمنعهن الحسن وردهن إلى أماكنهم والحسين يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أبتاه وإنقطاع ظهراه، من أجلك تعلمت البكاء، إلى الله المشتكى، أمر الإمام الحسن الناس بالإنصراف، ولم يبق إلا أولاد أمير المؤمنين وعدد قليل من أخص أصحابه المعتمد عليهم، فابتعدوا عن الكوفة في جوف الليل قاصدين النجف، وإذا بمقدم السرير قد وُضِع، فوضع الحسن والحسين مؤخرة السرير، وقام الحسن وصلّى مع جماعة على أبيه فكبّر سبعاً كما أمر أبوه، ثم زحزح السرير، وكشف التراب وإذا بقبر مقبور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها: هذا ادّخره نوح النبي للعبد الصالح الطاهر بن المطهر. ولما أرادوا إنزاله إلى القبر سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبيب إلى الحبيب، فدهش الناس من سماع الهاتف، وإنتهى الدفن قبل الفجر

وأخفوا قبره كما أوصى به، لأنه (عليه السلام) كان يعلم من عداوة الخوارج والأعداء له، فقد روي في منتخب التواريخ أن الحجّاج بن يوسف نبش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان علي (عليه السلام) ولكنه لم يعثر عليه، ولم يزل القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام وأخصّاء الشيعة إلى أيام هارون الرشيد، قال عبد الله بن حازم: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد فصرنا إلى ناحية الغري، فرأينا ظبيات، فأرسلنا إليها الصقور والكلاب، فحاولتها ساعة ثم لجأت الظباء إلى الأكمة فسقطت عليها، فسقطت الصقور والكلاب فتعجب الرشيد من ذلك ثم أن الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلت ذلك ثلاثة، فقال هارون: أركضوا فمن لقيتموه آتوني به؟ فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال هارون ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك ! قال: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك. قال الشيخ حدثني أبي عن أبيه أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب (عليه السلام) جعله الله حرماً لا يأوي إليه أحد إلا أمن فنزل هارون ودعى بماء فتوضأ وصلى عند الأكمة وتمرغ عليها وجعل يبكي وأمر ببناء القبة على القبر، ومن ذلك اليوم لم يزل البناء في تطور وهو الآن صرح بديع متلألئ، وبناء مشيد من قبة ذهبية ومنارتين ذهبيتين ومشهد عظيم وضريح فخم في داخله صندوق لا يثمن، والبقعة مزينة بهدايا الملوك والسلاطين على مر القرون، وقد بني المشهد على أحسن هندسة وأبدع فن معماري وأجمل نقوش يتوصّل إليها الفكر البشري والمعلقات الموجودة والذخائر المكنونة والهدايا الثمينة لا يمكن تقديرها وتثمينها، ويقصد القبر الشريف ملايين من الناس من شرق الأرض وغربها، وكذلك الوفود والسواح من المسلمين.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها، فاطمة بضعةٌ مني من آذاها فقد آذاني ومن أحبها فقد أحبني، فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبَيّ، فاطمة سيدة نساء العالمين. هذه الشهادات وأمثالها تواترت في كتب الحديث والسيرة عن رسول الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتأثر بنسب أو سبب ولا تأخذه في الله لومة لائم. مواقف من نبي الإسلام الذي ذاب في دعوته وكان للناس فيه أسوة فأصبحت خفقات قلبه ونظرات عينه ولمسات يده وخطوات سعيه وإشعاعات فكره، قوله وفعله وتقريره، وجوده كله أصبح تعاليم الدين وأحكام الله ومصابيح الهداية وسبل النجاة، أوسمةٌ من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء تزداد تألقاً كلما مر الزمن وكلما تطورت المجتمعات وكلما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه لها (يا فاطمة إعملي لنفسك فإني لا أغني عنك من الله شيئاً). فاطمة الزهراء هذه مثال المرأة التي يريدها الله وقطعة من الإسلام المجسد في محمد وقدوة في حياتها للمرأة المسلمة وللإنسان المؤمن في كل زمان ومكان، إن معرفة فاطمة فصل من كتاب الرسالة الإلهية ودراسة حياتها محاولة لفقه الإسلام وذخيرة قيّمة للإنسان المعاصر، إيه فاطمة.. يا ثغراً تجلّى بالعفاف فطاب رضاً به، لقد عبق خطّ وصلك ببنت عمران يا ابنة المصطفى، فتلك مريم ما فرشت الأرض إلاّ من نتف الزنابق، وأنت النفحة الزهراء، ما نفثتِ الطيب إلا من مناهل الكوثر، يا بتول، يا أمّ أبيك.. لقد كانت النبوة طفلكَ البكر، يا ابنة الجنّة، هلاّ رسمتِ الطريق للوصول إلى عين الشمس ونبع الحياة لكي يتمكن مجتمعنا الذي يقرأ كتابك من تربية المرأة الفاطمية والرجل الفاطمي، ليست قليلة تلك الشعلة التي التهبت بها شخصية هذه المرأة، فإن تكن سيدة نساء العالمين فمن هذا المعين تستقي، فهي ابنة نبي ربط حاضر الأجيال بماضيها، ووصلها بكل زمان يأتي بهذه

الهالة القدسية، إتّشحت شخصية الزهراء (عليها السلام) آخذة عن أبيها عبء مسؤولية الأجيال، فهي التي إنحصر فيها إرث النبوة بكل ما حققت النبوة، بكل ما ترتبط به صفات النبوة، بكل ما ترمي إليه أشواق النبوة، وتزوجت رجلاً كان زواجها منه تحقيقاً للمخطط العظيم وتنزيلاً لقدسية الكلمة، وكان زواجها استكمالاً لمتانة ما أنيط بها، وما كان الحسن والحسين غير نتاج هذا الرباط الذي اكتملت به المشيئة، هكذا ارتبط التاريخ برباط، وهكذا إتّشحت فاطمة بقدسية هذا الرباط، هالة إتّشحت بها سيدة نساء العالمين إزاراً من نبوة، وإزاراً من أمومة، وإزاراً من إمامة، وأخيراً هويتِ فاطمة، هوى معك الخصر النحيل، يا نحول السيف، يا نحول الرمح، يا نحول الشعاع في الشمس، يا نحول الشذا يا نحول الإرهاف في الحس، يا إبنة المصطفى، يا إبنة ألمع جبين رفع الأرض على منكبيه واستنزل السماء على راحتيه، فهانت عليك الأرض يا عجينة الطُهر والعبير، ولم تبتسمي لها إلا بسمتين، بسمة في وجه أبيك على فراش النزاع يعِدُك بقرب الملتقى، وبسمة طاقت على ثغرك وأنت تجودين بالنفَس الأخير، وعشتِ الحب يا أنقى قلب لمسته عفّة الحياة، فكان لك الزوج عظيم الأنوف، لفّ جيدك بالدراري وفرش تحت قدميك ريش المكارم، وعشتِ الطُهر يا أطهر أمٍ أنجبت ريحانتين لفّتها بُردة جدّيهما بوقار تخطّى العتبات وغطّى المدارج.

فاطمة المرأة الفاضلة :

هي فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطّلب بن هاشم، إبنة رسول الله ﷺ وأمها خديجة بن خويلد، كانت ولادتها في العشرين من جمادي الثانية في السنة الثامنة قبل الهجرة وتوفيت في المدينة المنور في الثالث من جمادي الثانية في السنة العاشرة من الهجرة، ويحسن بنا قبل البدء بقصة فاطمة عليها السلام، أن نتذكر أمّها السيدة خديجة الكبرى حيث

كانت خديجة من أغنى نساء عصرها، وكان الكثيرون من كبار مدينتها يتمنّون الزّواج منها، طمعاً بثروتها، لكنّها أقدمت على عملٍ ملفت للأنظار، فقد اختارت محمداً الأمين زوجاً لها، من بين أعيان المدينةً وأشرافها، رغم أنّه لم يكن من الأثرياء، أثار فعل خديجة سكّان المدينة نساءً ورجالاً، لكنّها لم تهتّم بهم، ولم ترجع عن قرارها، لقد اختارت – في الحقيقة – أفضل الرّجال شريكاً لحياتها، لكنّ أكثر الناس كانوا يجهلون هذه الحقيقة، وكان هذا التصرف منها دليلاً على حسن إدراكها، فلا عجب إذن، أن تنشأ في أحضان إمرأةٍ كخديجة، إبنة كريمة كفاطمة الزهراء، عاش محمد ﷺ وخديجة حياةً هادئة مطمئنّة سنين عديدة، حتى بُعث صلى اللهّ عليه وآله نبياً، وكانت خديجة أوّل إمرأة آمنت به ودافعت عنه. ونتيجةً لذلك فقد أظهر أعيان المدينة وأشرافها عداوتهم لمحمدٍ وخديجة، وفرضوا عليهما عزلةً خانقة، تحمّلت خديجة هذه المصاعب في سبيل اللهّ ورسوله، وشاركت محمّداً ﷺ آلامه ووحدته، وصرفت عنه من الهموم ما استطاعت، وضحّت بالكثير قربةً إلى اللهّ تعالى، فكانت بحقّ زوجةً تقيّةً ورعة، تعرف اللهّ حقّ معرفته وتتوجّه إليه في كلّ شيء. إلى أن ظهرت في الأفق تباشير، آذنت بقرب إنتهاء العزلة، حين شعرت خديجة بحركةٍ في أحشائها، تبشّر بوليدٍ جديد، وفي ليلتها الأخيرة من الحمل، وآلام الولادة تشتدّ بها، بعثت إلىً القوابل من قريشٍ فأبين أن يأتينها ويساعدنها، عند ذاك وقع أمر عجيب، هو في نظر الناس عسير، لكنّه على اللهّ يسير، فقد شعّ النور فجأةً في غرفة خديجة، وظهرت أربع نسوةٍ، تحيط بوجوههنّ هالات من النور، وجلسن إلى جانبها بعد أن ألقين عليها السلام، وبادرن بالقول بلطف: «لا تخافي يا خديجة، إنّنا ضيوف من عند اللهّ». هدأ روع خديجة بعد خوف، وسكنت نفسها، ووسط هالةٍ من النور، وضعت وليدتها فاطمة. سيعجب الكثيرون لو عرفوا أنّ النّسوة، لم يكنّ إلا: «سارة» زوجة إبراهيم و«آسية» زوجة فرعون و«مريم» أمّ عيسى

و«كلثم» أخت موسى. لكنّ العجب العجاب هو من أولئك الذين ما زالوا يجهلون أبعاد عالم الإنسان، أو يغفلون عن قدرة اللّه الباهرة، يا ليتهم كانوا يفقهون.

نعم . . . هكذا ولدت فاطمة عليها السلام، وفي أحضان الرسول وخديجة كبرت وترعرعت. وكان لرسول اللّه غير فاطمة بنات ثلاث: رقيّة وأمّ كلثوم، اللّتان تزوّجتا من «عتبة» و «عتيبة» ولدي أبي لهب، وعاشتا زمناً مع «أمّ جميل» امرأة أبي لهب، وأخت أبي سفيان. والثالثة هي زينب، زوجة «العاص» أحد أعداء الرسول. وقد طلّقت رقيّة وأمّ كلثومٍ من زوجيهما، بأمرٍ من أبي لهب والابنة الوحيدة التي بقيت في بيت الرسول (ص) هي فاطمة عليها السلام، والحقّ أنّ فاطمة كانت نموذجاً آخر. باختصارٍ نقول، إنّ فاطمة كانت بضعةً من رسول اللّه، أخذت عنه الكثير من صفاته الحميدة، ومزاياه النّادرة. ما إن بدأت أيّام الشّدة بالزوال، وأيقن الناس من نجاح الدّعوة، حتى تهافت الكبار والأعيان على الرسول يطلبون يد وحيدته، طمعاً بالمقام العالي، بالقرب من رسول اللّه. لكنّه كان معروفاً تمام المعرفة أنّ فاطمة هي لعليّ. فعليّ هو ابن عمّ رسول اللّه، ورفيقه ونصيره، صاحب المكانة العالية من الإيمان والعلم والتقوى، ودارت الأيام، وادّخر القدر الواحد منهما للآخر، وشاء لهما أن يلتقيا كما يلتقي بحران كبيران، ليقدّما للعالم أطهر اللآلىء {مرج البحرين يلتقيان . . . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان} الرحمن – 19 وقد كان علي يتمنّى التّقرّب إلى رسول اللّه بخطبة ابنته فاطمة لنفسه، غير أنّ الحياء وخلوّ يده من مهرٍ يقدّمه، كانا يمنعانه من الإقدام، لكنّه عزم فتوكّل، وتوجّه إلى بيت الرسول ﷺ وصارحه بما في نفسه، أشرق وجه الرسول لدى سماعه طلب عليٍّ وقال: «يا عليّ، قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها. ولكن، على رسلك حتى أخرج إليك». دخل النبي ﷺ إلى إبنته فاطمة وفاتحها بالأمر قائلاً:

«يا فاطمة، إنّ علياً بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟» فسكتت ولم تولّ وجهاً، ولم ير فيها رسول اللهّ ﷺ كراهةً فقام وهو يقول: اللهّ أكبر، سكوتها إقرارها.

خرج الرسول ﷺ إلى حيث ترك علياً، وبادره والسّرور يعلو محيّاه قائلاً: «هل معك شيء أزوّجك به؟» قال عليّ: «فداك أبي وأمّي، واللهّ لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي». (الجمل الذي ينضح ويسحب به الماء) قال النبيّ: «أمّا سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به في سبيل اللهّ، وتقاتل به أعداء اللهّ، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكنّي قد زوّجتك بالدّرع ورضيت بها منك، بع الدّرع وأتني بالثّمن». باع عليّ الدّرع بأربعمائة وثمانين درهماً، وجاء بالدّراهم إلى النبي وطرحها بين يديه، وتمّ الوفاق على أن يكون ثمن الدرع صداقاً لأشرف فتاة، وأفضل أنثى في الكون هي سيدة نساء العالمين، قسّم النبي المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز وثلثاً لشراء العطر والطّيب، وثلثاً تركه أمانةً عند أمّ سلمة، ثم ردّه إلى عليّ قبيل الزّفاف، ليستعين به على تهيئة الطّعام، أعطى النبي مقداراً من المال لعمار بن ياسر وسلمان وآخرين قائلاً له: «اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها». تمّ شراء لوازم البيت، وكانت عبارةً عن: قميصٍ بسبعة دراهم، وغطاءٍ للرأس بأربعة دراهم، ودثارٍ (ما يتغطى به النائم) من صنع خيبر وسرير من الخشب، وفراشين من ألياف النخيل والصوف، وأربع قصاع للطعام من صنع الطائف، وغطاءٍ من الصوف، وحصيرٍ ومطحنةٍ يدوية، ووعاء للحناء، وآخر نحاسيّ، وقربة ماء وقدر للحليب، وإبريق للماء، وكوزين من الفخّار، وأشياء أخرى من هذا القبيل، جيء بها إلى الرسول فتفحصها وأعرب عن رضاه بهذا الجهاز المتواضع قائلاً: «بارك الله لأهل البيت». بعد شهر إجتمع لدى النبي

أناس من قريش فقالوا: إنّك زوّجت علياً بمهرٍ خسيس، فقال ﷺ «ما أنا زوّجت عليا، ولكن اللهّ زوجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى» ومضى شهر، وفاطمة ما تزال في بيت أبيها، أما علي، فكان بعد أدائه الصلاة مع الرسول، يمضي إلى بيته دون أن يعود إلى الموضوع ثانية وفي أحد الأيام التقته أم أيمن ومعها بعض النسوة، وسألته إن كان يرغب في أن تتحدث إلى النبي وتفصل موضوع الزواج معه، فرد بالإيجاب مرحباً بمسعاها، فقصدت رسول اللهّ مع صاحباتها وخاطبته قائلة: يا رسول اللهّ، لو أنّ خديجة باقية لقرت عينها بزفاف فاطمة، وإنّ عليا يريد أهله، فقر عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقر عيوننا بذلك، فقال ﷺ «فما بال علي لا يسألني ذلك؟» قالت: الحياء منك يا رسول اللهّ. فقال ﷺ انطلقي إلى علي فأتيني به وحضر علي وجلس مطرقاً نحو الأرض حياءً، فقال له: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟ قال: نعم، فداك أبي وأمي قال: نعم وكرامة. طلب النبي إلى أم سلمة أن تجهز غرفة لفاطمة، كما طلب من النسوة أن يتزيّن ويزين فاطمة فاهتمت كلّ منهن بعمل. فواحدة صففت شعرها، والثانية اهتمت بثيابها، والثالثة رشّتها بالعطور، كما تم تحضير الطعام، فذبحت شاة وطُبخت، وحسر النبي عن ذراعيه، وجعل يفرك التمر بالسمن، بمثابة الحلوى بينما أسرع علي إلى المسجد، وكان يغصّ بالمسلمين فخاطبهم بصوت عالٍ قائلاً: أيها الناس، أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد ﷺ توجه جميع من في المسجد إلى بيت النبي، وكان عدد من لبى الدعوة يفوق عدد الذين حضروا معركة بدر قبل بضعة أيام. بعد انقضاء قسم من الليل، وكان الضيوف قد تناولوا العشاء وغادروا البيت، التفت الرسول إلى نساء بني هاشم، ونساء المهاجرين والأنصار وطلب إليهنّ أن يمشين برفقة فاطمة، حتى يوصلنها إلى بيت علي، وأوصاهنّ بالشدو والجهر بالتكبير، محذراً إياهن من ترديد كلمات لا تُرضي الله.

في بيت علي (عليه السلام) :

ما إن تجهز النسوة للمسير، حتى أركب الرسول ﷺ بنفسه إبنته على بغلته الشهباء، وسلّم زمامها إلى سلمان الفارسي، وسار خلفهما حمزة وعقيل وجعفر، وغيرهما من أقرباء الرسول، وقد امتشقوا سيوفهم يمشون الهوينا إلى بيت علي، بينما كانت زوجات النبي، ونساء المهاجرين والأنصار، يمشين وهنّ ينشدن الأهازيج في حين قدمت كل من نساء النبي أبياتاً من الشعر، هديةً للعروس، وكانت أبيات أم سلمة هي الأفضل والأبلغ. وهكذا حتى وصل الموكب إلى بيت علي، وتعالت صيحات التكبير، وقام الرجال بمصافحة علي مباركين، ثم نادى النبي علياً إليه، وأخذ يد فاطمة ووضعها في يد علي قائلاً: «بارك اللّه في إبنة رسول اللّه». ثم دعا لهما قائلاً: «اللّهم بارك فيهما، وبارك عليهما ...وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم». وقام أصحاب الرسول ﷺ بتقديم الهدايا إلى العروسين الجديدين. وهكذا تم زواج علي من فاطمة، بعد أيامٍ من معركة بدر، و{ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء، واللّه ذو الفضل العظيم}. الحديد – الآية 21.

منذ ذاك، عاش علي وفاطمة في بيتهما المتواضع، عيشة ملؤها الحب والهناء، وكان النبي في كل مناسبة يزورهما ويجلس إليهما، ويوصيهما بالصبر والاستقامة، ومما قاله لابنته يوماً: «إنّ اللّه اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر زوجك». كانت فاطمة زوجة صالحة، فلم تكن لتحزن إن غاب زوجها للجهاد في سبيل اللّه، وما كان أكثر غيابه كانت تهيىء له عدة الحرب ولوازم السفر، كما كانت تبث فيه الشجاعة، وتشدد من عزيمته ولا تهيّبه من الموت في سبيل اللّه، وما أحرى بكل زوجة مسلمة أن تجعل من بنت الرسول قدوةً حسنة، وأسوةً صالحة، كانت تعيش مع علي (عليهما السلام) في جو تكتنفه القداسة

والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت عليها السلام تعرف لزوجها مكانته العظمى، ومنزلته العليا عند اللهّ تعالى، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها، وتطيعه كما ينبغي، لأنّه أعز الخلق إلى رسول اللهّ، وأخوه وخليفته ووصيه، وكان علي عليه السلام يحترمها ويجلّها، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنها أحب الخلق إلى رسول اللهّ، نورها من نوره، وصبرها من صبره، وتواضعها من تواضعه، لأنّها سيدة نساء العالمين. لقد عاشت حياةً لا يعكرها الفقر، ولا تغيرها الفاقة (الفقر الشديد) كانت تقوم بأعمال البيت، وتطحن القمح والشعير حتى تدمى يداها الطاهرتان، وتعجن وتخبز. كانت الزوجة المسلمة المثال، كانت إلى جانب هذا لا تنسى واجبها في الجهاد في سبيل اللهّ، ففي وقعة أحد وقفت فاطمة تغسل جبين أبيها الطاهر، وتبلسم جراحات علي، لم تكن كالكثير من النساء – تبدي أي عجز أو حزن أو بكاء أيام الشدة، لأنّها كانت امرأة عملٍ وجهادٍ، لا امرة عويلٍ وبكاء.

أجر الرسالة :

في السنة الثالثة للهجرة، رُزقت فاطمة ولدها البكر وأعطاه الرسول اسم «حسن»، كما رزقت ابنها الثاني في السنة التالية، وسمّي «حسيناً» أي «الحسن الصغير». وكان سرور النبي بمقدم هذين الولدين عظيماً فقد كانا حقاً، بمثابة أجرٍ للرسالة، وتعويضٍ عن المشاق، التي تحمّلها رسول اللهّ، في سبيل هذه الرسالة. وممّا قاله ﷺ بحقهما: «الحسن والحسين، إبناي وريحانتاي، وسيدا شباب أهل الجنة». وفي أحد الأيام، وبينما كانت فاطمة وعلي والحسن والحسين في بيت أم سلمة نزل ملاك الرحمن، وتلا هذه الآية: {إنّما يريد اللهّ ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت، ويطهّركم تطهيراً} الأحزاب – 33. ولما نزلت هذه الآية تناول

النبي كساءً ودخل تحته، مع علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال: «اللّهم إنّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، وحاميتي، لحمهم لحمي ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحبّ لمن أحبهم، إنّهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». وكانت حياتهم فعلاً منزهة عن الخطأ والزّلل، وكانت خصالهم العظيمة آيةً من آيات اللهّ للناس جميعاً، عالمهم وجاهلهم، ولكنّ أكثر الناس لا يتفكّرون. من هنا كان اهتمام النبي بفاطمة، وعنايته بها، لا لكونها ابنته – والرسول أجل من أن يهتم بأحد لمجرد النسب – بل لأنّها كانت إنسانةً تعرف اللهّ حق معرفته، وكانت تتجلّى فيها صفات الرسول الأكرم، ولأنّ اللهّ سبحانه أشار إلى أنّ فاطمة الطاهرة المطهرة، وقد بين الرسول مرّاتٍ هذه المزايا ونوّه بها، قال يوماً أمام جمع من كبار المسلمين، وكما ورد في صحيح البخاريّ: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني». وخاطبها مرّةً قائلاً: «يا فاطمة، إنّ اللهّ يغضب لغضبك ويرضى لرضاك».

شارفت الأيام السعيدة على نهايتها، إذ مرض رسول اللهّ مرضاً شديداً وما لبث أن أطبق عينيه الكريمتين وانتقل إلى جوار ربّه، وبدأت رحلة فاطمة مع المصاعب والآلام، لأنّ كل شيءٍ تغير، ومرة واحدة، بعد رحيل النبي الأكرم. فقد عيّن جماعة من الصحابة أبابكر خليفة، وبايعه أكثر الناس إثر ذلك، أمّا علي عليه السلام، فكان يرى بعد ارتحال الرسول أنّ الإسلام بحاجةٍ ماسةٍ لوحدة المسلمين ورص الصّفوف، لذا فقد اختار الصّمت، ولم يطالب بحقّه في الخلافة، حرصاً على هذه الوحدة والتي ما يزال الإسلام بحاجةٍ إليها، وسيبقى إلى يوم الدّين. لكنّ فاطمة عليها السلام. كانت ترى من واجبها أن تنبّه الناس إلى الخطأ الذي وقع، فقصدت مسجد أبيها الرسول ﷺ حيث كان الأنصار

مجتمعين وهناك أوضحت أمام الملإ حق الإمام عليّ (عليه السلام) وحذّرت الناس من سوء العاقبة إذا حلّت الفرقة بينهم محلّ الوحدة، التي كانت أيام رسول اللّه. فالمستقبل ينذر بشر كبير، إن اختار الناس السكوت عن الحق. كما أوضحت أنّ مزرعة «فدك» تخصّ آل الرسول وليست ملكاً لعامة المسلمين، كما قيل، وابنة الرسول الكريم وبضعته أجلّ وأنزه من أن تستولي على ما ليس من حقّها. إنّه للعجب العجاب، أن تتّهم بنت رسول اللّه بهذه التهمة الظالمة أليست ممن طهّرهم اللّه وأذهب عنهم الرجس؟ أليست ممّن {يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً} (الدهر – 8). {فبايّ حديثٍ بعده يؤمنون}؟ (الأعراف – 185).

فاطمة على فراش المرض :

بعد هذه المتاعب الشديدة، ارتمت فاطمة في أحضان المرض واختارت طريق الصمت والاعتزال، فجاء بعض نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها، ولمّا سألنها عن حالها أجابت بعد أن حمدت اللّه وصلّت على أبيها: «أصبحت واللّه عائفةً لدنياكنّ، قاليةً لرجالكن، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه واللّه نكير سيفه، وتنمّره في ذات اللّه عزّ وجل {ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} {أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم من لا يهدّي إلاّ أن يهدى، فما لكم، كيف تحكمون} ؟ (يونس – 35) لمّا سمع الرجال قولها جاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عدلنا إلى غيره فقالت: «إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم».

الرسالة الأخيرة :

لما اشتدت وطأة المرض على الزهراء قالت لزوجها. «يا ابن عم، إنّه قد نعيت إلي نفسي، وإنني لا أرى ما بي إلاّ أنني لاحقه بأبي ساعةً بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي». قال علي: «أوصيني بما أحببت يا بنت رسول اللهّ قد عزّ علي مفارقتك وفقدك واللهّ لقد جدّدت علي مصيبة رسول اللهّ، أوصيني بما شئت فإنّك تجديننني وفياً، أمضي كلّ ما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري». قالت: «ادفني في الليل وعفّ موضع قبري، ولا تشهد جنازتي أحداً ممّن ظلمني». «يا ابن عمّ، إن أنت تزوّجت امرأةً بعدي فاجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة يا أبا الحسن، ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما، واليوم يفقدان أمّهما، فالويل لأمّةٍ تقتلهما وتبغضهما». ثمّ قامت عليها السلام، فاغتسلت وتمدّدت في فراشها، وأسلمت الروح مستبشرةً بلقاء أبيها وحبيبها رسول اللهّ، وفقد الإمام بفقدها زوجةً صالحةً، وأمّاً حنوناً طاهرة، وشريكة حياةٍ، في ريعان الشباب ونضارة الحياة. كانت هذه هي الرسالة الأخيرة للزهراء عليها السلام، وكانت بحقّ درساً بليغاً، وعبرةً للمعتبرين، فقد اختارت أن تشيع وتدفن ليلاً في قبر مجهول، كي لا يشترك في جنازتها من تلوّث بالانحراف. واختارت بعملها هذا أن تسجّل اسمها في سجل المظلومين ليكون رمزاً للظلم والحرمان على مدى الأزمان، علم أهل المدينة بموت بنت الرسول، فعمّ الحزن الناس، وتقاطروا إلى بيتها للصلاة عليها وتشييعها، وكم كانت صدمةً مؤلمةً لهم حين علموا أنّ دفنها قد تمّ ليلاً بعد أن صلّى عليها عليّ ونفر من أصحابه.

المجتبى الحسن بن علي عليه السلام

إنني مدعو للدخول إليك أيها السيد الكريم، وها أنا أهفو إلى قلمي حتى يطيب فيقرع الباب عليك، عفو المسافات يا سيدي فإنها لا تزال هي التي تهفو إليك هفو الريح في الفضاء، وبابك لم يقفل حتى يقرع فهو هو ذاته في صدارة المحراب، لأنك المسافة التي ليست لأن يقطع إليها، بل لأن توصل بها المسافات، لقد نجح الجدّ العظيم في بعث الرسالة، وفي حفرها المتين في قرآن، وفي نقلها البليغ إلى الإنسان وفي تسجيلها على لوحة الزمان، وهاهي الأجيال لا تزال موصولة به كما لا يزال هو موصولاً بالمصدر الذي به تم الاتصال، وكنت أنت المجتبى قبل أن تبصر النور، كنت المصطفى، إنه الشوق في جدّك تتناوله الغيرة على مجهود يلزمه الدفع الطويل حتى يبقى مستمراً، يلزمه الدفع الذي لا ينتهي، فهو ليس حكراً على عمر واحد يأتيه أجل، إنما من أجل بناء الأجيال التي دون أن تصرمها الآجال، إنما هو في الحقيقة المطلقة مجهود تشبّث بحقيقة رزم الإنسان حتى ينتصر الإنسان. أما القيّم على هذا المجهود فهو الذي لا يعرضه الموت للغياب أكثر مما يبقيه في ساحة الصراع عن طريق توارث الصفات، تلك هي العصمة أيها الإمام، جمع إليك حدودها جدّك البعيد المدى، فإذا هي لك في كنىً توافرت فيها الصفات، كأنها قنوات تستقي منها. فأنت أبو محمد، وأنت الزكي، وأنت السبط، وأنت الريحانة في الجنة، وأنت الإمام قمت أم قعدت، وأنت السيد الكريم، وأنت المجتبى، هذا هو الإطار الذي أعدّ لأن ينزل فيه الإمام الحسن بن علي، لتكون له منه الحدود، كل الحدود، فهل صدق الزمان في سيره، وتمكن هذا الإمام من التلبية تنفيذاً لكل ما أوكل إليه؟ نعم، الإمام الحسن، لقد عين مسبقاً لأن تنتقل إليه القيمومة وسيحاول أن يلتزم بها ما دامت له الأنباض في الحياة وسيتركها إلى الغير مربوطة بنهجٍ سيكون لها في مجال الديمومة، وجاء

الإمام الحسن بنهج كأنّه الابتكار، يحقن الدم بالصلح الأبيض حتى تزول الأورام، فتلتقي قدم بقدم، وحسام بحسام، حتى يكون للمجتمع العظيم قلب واحد وزند واحد يلعب بالسيف أمام الشمس وتخفق به راية الحق براية الإسلام. لقد غاب الحسن وبقي له المنهج حتى تستقيم به مناهج الأمة في حقيقة الإسلام، أيها الإمام يا أبا محمد أيها النقي الذي مشى حافياً فوق الرماد، أيها السبط الذي ارتبطت به الأواصر وانتهت إليه مفاصل الحقب، كأنك همزة الوصل بين ثقل وثقل، في حوملة تمتزج فيها البدايات والنهايات.، أيها الزكي الذي تحمّل لعب النار في المصهر، فطابت به خميرة الطهر، وصفا رماده. أيها اللون الجديد المشرب بلون الورود المتدلية فوق الجدران العالية، كأنها امتداد لبحور الجنان، تشرب الكوثر بدعج العين، وتفيض بك الملامح، التهب بالصمت والوعد وفيض التمني، وأخيراً أيها المجتبى، أيجوز لي أن أقول، إذا اختصرتك بوصف أني وصلت إليك منذ زمن طويل وأنا أسعى إلى المبتغى ولم يكن لي أبداً أن ألمحك إلا بعد أن تطول إغماضة عيني، كأنك طيف تخف خطواته مع كل دغشة ندية تحلم بها المقاطع المارجة بأفواج الرياحين، ربما يكون لي من هنا أن اكتشفت شوق جدّك العظيم إليك وهو يشمّك ويقول: أنت ريحانتي النديّة، كأنك قد ولدت شعراً في باله.

مولد النور:

مكث رسول الله ﷺ في مكة المكرمة فترة من الوقت كان يواجه خلالها حرباً إعلامية من قبل رجال قريش، بهدف إقامة جدار بين رسول الله والمجتمع كمحاولة لفصل رسول الله ﷺ اجتماعياً تحت مبررات مختلفة وكان من وسائل هذه الحرب القذرة بثّ الشائعات والأضاليل الباطلة والمزيفة في أوساط الرأي العام القرشي والمكّي منها: أنّ رسول الله أبتر

لا عقب له ولا خلف، ولقد سرت هذه الشائعة بين المجتمع المكي ممّا ترك في نفس رسول الله ﷺ بعض الحزن والتأثر، ولكن الله سبحانه وتعالى أبطل هذه الأكذوبة، وبشّر رسوله بأن أعطاه فاطمة سيدة نساء العالمين وسيكون أبناؤه منها وهم اللذين سيشكلون امتداد الرسالة من بعده وفي السنة الثالثة للهجرة في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك (الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)، جاء الوعد الإلهي بأن ولد الإمام الحسن (عليه السلام) ممّا بعث في نفس رسول الله ﷺ تباشير الفرح والسرور بأن حقق الله عز وجلّ وعده وبأن ردّ كيد الأعداء من مشركي مكة، ولذلك بقدر ما كان مولد الإمام الحسن (عليه السلام) يضفي على رسول الله ﷺ السعادة والبشرى، كانت زعامات قريش وأقطاب مكة تعض الأنامل وتتقطع من الغيظ والحقد لفشل المؤامرة الإعلامية ضد رسول الله ﷺ وكانت الولادة المباركة في المدينة المنورة حيث استقبل رسول الله ﷺ سبطه الحسن سيد شباب أهل الجنة وبدا عليه الارتياح وقام من ساعته إلى بيت الصديقة فاطمة الزهراء (عليه السلام) ونادى يا أسماء أين ولدي؟ فأسرعت به أسماء بنت عميس إلى جده المصطفى ﷺ وقد لفّ الحسن (عليه السلام) في خرقة، فقدمته إلى جدّه فاستقبله والبشرى تلوح على وجهه، فأخذ ابنه برفق، وضمه إليه وراح يلثمه بعطفه وحنانه، ثم بدأ يقطر أذنيه بالإيمان ويعصر في روحه آيات التكبير والتهليل، فكان غذاؤه الأول: الله أكبر.. الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله.. أذّن رسول الله ﷺ في أذنه اليمنى ثم أقام في اليسرى، لتكون هذه الكلمات القصار، الكثيرة والكبيرة بمحتوياتها أنشودة الإمام أبي محمد الحسن (عليه السلام) في كل مراحل حياته يحاول غرسها بكل ما لديه من جهد في أعماق النفوس لتكون أنشودة الحياة جيلاً بعد جيل. وجاء الإمام علي (عليه السلام) إلى فاطمة وسألها عن اسم المولود أجابته: ما كنت لأسبقك فأردف علي

(عليه السلام) قائلاً: وما كنت لأسبق رسول الله فجاء الإمام علي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن اسم المولود، فأجاب رسول الله وما كنت لأسبق ربّي. فنزل جبرائيل من السماء على رسول الله ﷺ وقال له: إن الجليل يقرؤك السلام ويقول لك اسمه حسن، فكان كذلك. ثم عق عنه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضةً فكان وزنه درهمان وشيئاً، وأمر فطُلي رأسه طيباً، وسُنّت بذلك العقيقة والتصدّق بوزن الشعر وكنّاه (أبا محمد) ولا كنية له غيرها، ومن ألقابه كذلك التقي والزكي والسبط وغيرها كالسيد والمجتبى والطيّب والولي.

زوجاته وأولاده :

تزوج عليه السلام أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهند بنت سهيل بن عمرو، وجعدة بنت الأشعث بن قيس، وهي التي أغراها معاوية بقتله فقتلته بالسم، وقد تحدث المؤرخون عن زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وأكثروا ومال أكثرهم إلى المبالغة في تعدادهن مبالغة لا تعتمد على أساس معقول، وكان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم: زيد، أم الحسن، أم الحسين أمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية. الحسن، أمه خولة بنت منصور الفزارية. عمر والقاسم وعبد الله، أمهم أم أولد. عبد الرحمن أمه أم ولد. الحسين الملقب بالأشرم وطلحة وفاطمة أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي. أم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية، لأمهات شتى ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد.

أوصافه عليه السلام :

لم يكن أحد أشبه برسول الله (صلّى الله عليه وآله) من الحسن بن عليّ (عليهما السلام) خلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً)، بهذا وصفه واصفوه. وقالوا: (كان أبيض اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية، جعد الشعر ذا وفرة، كان عنقه إبريق فضة، حسن البدن، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الكراديس، دقيق المسربة، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً. أو كما قال الشاعر:

ما دب في فطن الأوهام من حسنٍ .. إلا وكان له الحظ الخصوصيّ
كأنّ جبهته من تحت طرّته .. بدر يتوجّه الليل البهيميّ
قد جلّ عن طيب أهل الأرض عنبره .. ومسكه فهو الطيب السماويّ

فالإمام الحسن (عليه السلام) حاز على صفات جده رسول الله ﷺ في خَلقِه وخُلُقِه حتى أن المسلمين إذا اشتاقوا إلى رسول الله ﷺ نظروا إلى ابنه الحسن (عليه السلام) يقول أبو جحيفة: رأيت رسول الله وكان الحسن بن علي يشبهه. ويقول أنس: (لم يكن أحد أشبه برسول الله من الحسن بن علي وقد أورد الشيخ المفيد في الإرشاد أنه: كان الحسن بن علي (عليهما السلام) يشبه النبي ﷺ من صدره إلى رأسه والحسين يشبهه من صدره إلى رجليه، وقال أيضاً: (كان الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ خَلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً وقد قال رسول الله للحسن ذات مرة: (أشبهت خَلقي وخُلقي) وقال واصل بن عطاء: كان الحسن بن علي، عليه سيما الأنبياء وبهاء الملوك.

بعد الرسول ﷺ :

وبعد أن أغمض الرّسول ﷺ عينيه، وارتحل عن هذا العالم، بقي أبوسفيان ومعه حزب الكفر والنّفاق على هدوئهم، فنفاقهم كان في مأمن من الافتضاح، وكان كلّ همّهم ألاّ تقع أسباب القدرة الماليّة والقدرة السياسية بين أيدي أهل البيت، وكانوا يسعون أن تبقى هذه القدرات حكراً على غيرهم، ونجح مسعاهم ذاك؛ ومن هذا القبيل استأثر معاوية بالهيمنة على دمشق وحمص وفلسطين والأردن، جمع بين يديه أسباب الثّروة والقوّة، وغدا مشهوراً في كافّة أنحاء العالم الإسلاميّ. وبعد مقتل عثمان، ومبايعة عليّ صهر الرسول وابن عمّه، وأبي الإمامين الحسنين بالخلافة، قام المنافقون وأهل الباطل، يرفعون لواء العداء وراية الخلاف من جديدٍ، وشهروا سيوفهم في وجه الإمام، في حروب الجمل وصفّين والنهروان، وكانت مناسباتٍ جمعت أعداء الإسلام وأهل الباطل، وورثة الجاهليّة، إلى جانب معاوية بن أبي سفيان، وبين مدّ وجزر في القتال وأخذٍ وردّ في الجدال بين عليّ (عليه السلام) ومعاوية، اجتمع نفر أوهمهم غرورهم بأنّهم قادرون على علاج ما يشكو منه الناس، وإصلاح أمور المسلمين، وقرّروا أنّ علّة ما يعاني منه المسلمون تعود إلى ثلاثيّ خطر، هو معاوية وعمرو بن العاص وعليّ (عليه السلام)، وأنّه ليس من حلّ يضمن الخلاص للمسلمين سوى القضاء على ذلك الثلاثيّ دفعةً واحدةً. ونتيجةً لتفكيرهم السّقيم استشهد الإمام (عليه السلام) ذلك القائد الورع العادل، بينما فتح الطريق واسعاً أمام الآخرين، في ذلك العهد، حين كانت قيادة الناس وإدارة الأعمال بيد أعوان معاوية، تسلّم الإمام الحسن (عليه السلام) الخلافة، وكان عليه أن يواجه أسوأ القادة الذين كانوا قد تسلّموا مناصبهم في ذلك الحين، وجلّهم من بني أميّة وقد كانوا من سنواتٍ طويلة في انتظار هذه المناصب. ليخضموا مال الله خضم الإبل نبتة الرّبيع، كانت خلافة الإمام الحسن في ذلك العهد

تغطّي أقساماً واسعةً من العالم الإسلامي، تشمل فارس وخراسان واليمن والحجاز، والكوفة والعراق. وكانت مناطق يسودها القلق والاضطراب، رغم أنّ أهلها يدينون له بالطّاعة. أدرك الإمام منذ الأيّام الأولى لخلافته أن معاوية يضمر له السّوء ويستعدّ لحربه. فبعث بعدد من رسله إلى حكّام المدن والولايات، يطلب منهم الاستعداد والتأهّبً للقتال، كما أرسل إلى معاوية كتاباً يلقي عليه فيه الحجّة، وينصحه ويبصّره بعواقب أعماله، ويبيّن فيه حقّه وجدارته بالخلافة. وأنّ الحرص على الإسلام ووحدة المسلمين يقتضي البعد عن الحرب والخصام ويدعوه إلى أن يستجيب لدواعي العقل وفروض الطّاعة، وألاّ تأخذه العزّة بالإثم، فيورد نفسه موارد الهلاك، ويورد الأمّة الإسلامية موارد الفتنة والخلاف، ثمّ يتوعّده أخيراً بالقتال إن لم يستجب، حتّى يحكم الله بينهما . . ولكن . . أين معاوية من هذه النّصائح؟ فالرجل لا يتطلّع إلاّ إلى الحكم والرّئاسة، ولا يتردّد - في سبيل الوصول إليهما - من الإقدام على أيّ عمل، مهما كان عمله باطلاً وبعيداً عن الحقّ. وبدلاً من أن يستجيب لنصائح الإمام، فقد أرسل جواسيسه - خفيةً - إلى الولاة والقادة - يمنّيهم بالأموال والعطايا، والجاه والمناصب، إن هم ابتعدوا عن الإمام ووقفوا إلى جانبه هو، قبِل الكثيرون من أعيان تلك الأيّام عروض معاوية وإغراءاته، ونقضوا عهودهم مع الإمام الشرعيّ، وانضمّ بعضهم علناً إلى معسكر معاوية، كما عرض عليه بعضهم الآخر أن يلقوا القبض على الإمام ويرسلوه إليه أسيراً لكنّ معاوية الدّاهية المخادع، طلب إليهم أن يبقوا كما هم عليه، حتى إذا اندلع القتال انقلبوا على الإمام وخذلوه، ومضت شهور . . اشترى معاوية خلالها بأمواله وهداياه كثيراً من زعماء القبائل، ممّن اعتاد على قبول الأموال والرّشاوي، وممّن هو على استعداد لبيع نفسه ودينه وضميره بثمنٍ بخسٍ. لقد أدرك أولئك الزّعماء أنّ طريق الإمام هو طريق أبيهً أميرالمؤمنين عليهما السلام وأنّ الطريق الآخر هو طريق المغانم والكسب

الوفير، فاختاروه، وباعوا دينهم بدنياهم، وبأبخس الأثمان !!

الخيار بين الدنيا والدين :

تحرّك معاوية بجيش كبيرٍ نحو الكوفة معقل الإمام (عليه السلام). وكان الإمام يسعى بدوره لدفع الكوفة إلى الجهاد، ويلقى في سعيه العناء والتعب، لأنّ القليلين كانوا على استعدادٍ لذلك، وكانوا فرقاً لكلّ منهم رأي مختلف، وإنّ جيشاً يجري تجميعه من مثل هؤلاء، لهو جيش عاجز عن خوض حربٍ جدّيّةٍ وجهاد صادقٍ، عيّن الإمام (عليه السلام) ابن عمّه عبيد الله بن عبّاسٍ لقيادة جيشه، ونحن نعلم أنّ عبيد الله هو من قريش يعرفه جميع قادة الجيش وزعماء القبائل ويحترمونه ويطيعون أوامره وكان من أوائل الذين بايعوا الإمام الحسن، بالإضافة إلى أنّ قلبه كان يطفح كرهاً وعداوةً لمعاوية، الذي قتل أبناءه . . بعث الإمام بعبيد الله على رأس جيشٍ من اثني عشر ألفاً نحو معاوية، بينما توجّه هو بجيش كبير نحو المدائن، وأقام معسكره هناك؛ كجزءٍ من خطّةٍ للتّغلّب على جيوش معاوية الجرّارة . . لم يكن معاوية قد نسي مرارة حرب صفّين ولا تزال ذكرى سيوف أصحاب عليّ (عليه السلام) تصيبه بالارتجاف؛ لذا فقد صمّم على أن يتوسّل الحيلة والخداع في حربه هذه؛ فأرسل موفداً إلى عبيد الله خفية يعرض عليه ألف ألف درهمٍ (مليون درهم)، إن قبل أن ينفض يديه من هذه الحرب، على أن يدفع له نصف المبلغ في معسكره إذا أتى إليه، والنصف الآخر في الكوفة، بقي عبيد الله أيّاماً وهو حائر في أمره، فهو يعلم أنّ قلّةً من الناس قد استجابوا لدعوة الإمام، بينما يقود معاوية جيشاً لجباً، وتصوّر أنّ جيش معاوية سينتصر لا محالة، فلم التردّد؟ والعرض فيه إغراء كبير؟
صمّم عبيد الله أخيراً، واتّخذ قراراً ملؤه الخجل والعار، وفي منتصف تلك الليلة، انسحب مع مجموعةٍ من أعيان الجيش وقادته نحو معسكر

معاوية . . لقد اختار أن يبيع الله ورسوله وإمامه ودينه بثمنٍ رخيصٍ وأن يفوز بوصمة عارٍ لن تفارقه إلى الأبد، اجتمع الناس لصلاة الصّبحً وانتظروا عبيد الله كي يؤمّهم في الصلاة، حيث من المقرّر أن ينطلقوا بعد الصلاة إلى القتال، لكنّ انتظارهم ذهب عبثاً، فعبيد الله لم يحضر إلى الصلاة، ثم عرفوا الحقيقة إذ سمعوا منادياً من معسكر أهل الشام يقول: أيّها الناس تفرّقوا وعودا إلى بيوتكم، فإنّ عبيد الله وأنصاره في معسكر معاوية، وقد اختاروا الصّلح على الحرب، فلا خير في قتال الإخوة، كان عبيد الله الرجل الأوّل بعد الإمام في إمرة الجيش. وكانت خيانة هذا الرجل «الكبير» وهذا «الفقيه» المعروف، باعثاً على تخاذل الكثيرين، كما خدع آخرون بدعوة السلام الكاذبة، وشرعوا يتفرّقون كلّ في اتّجاهه، أحسّ جماعة من أنصار الإمام المخلصين بالخدعة، وحاولوا إعادة المتخاذلين ولمّ الصّفوف، لكنّ محاولتهم باءت بالفشل، وبقيت قلّة صادقة الإيمان ثابتةً في موقفها، وقد نذر أفرادها أنفسهم للموت في سبيل الحقّ، وأرسلوا إلى الإمام يطلبون إمدادهم بالرّجال، كان الفارّون والمتخاذلون يتّجهون نحو المدائن، وينشرون في طريقهم أخباراً كاذبةً مفادها أنّ جيش معاوية قد انتصر على طليعة جيش الإمام، وغدت هذه الأنباء عذراً لأولئك الذين خرجوا مع الإمام، رياءً وعلى كرهٍ منهم، وحجّةً تذرّعوا بها في تخاذلهم وعودتهم إلي الكوفة. إنّ القصّة تعيد نفسها قصّة الخوارج مع أميرالمؤمنين، قصّة أولئك الذين يخذلون إمام زمانهم لا بل يقتلونه، فواعجباً يدّعون أنّهم حماة الإسلام والحقّ، ثمّ يفتحون الطريق واسعاً أمام أعداء الإسلام والحقّ، القصّة تعيد نفسها اليوم في صورة امتحانٍ كبير، يتمّ فيه الفرز جيّداً، فالمنافقون ضعاف النفوس عادوا أذلّةً إلى بيوتهم، والأصحاب الأوفياء الصادقون ثبتوا في مواقعهم آباةً أعزّة، وطريق الشهادة أمامهم واضح مستقيم لا عوج فيه. وكان خيارا صعب لم يبق أمام الإمام الآن غير طريقين لا ثالث لهما، فإمّا القتال والتّضحية بأولئك الأوفياء المخلصين وإمّا الرضوخ لشروط الصلح

والصبر على الألم، طريق صعب . . لكنّ فيه خلاصاً لأولئك الأصحاب البررة من قتل لا طائل تحته، واختار عليه السلام وقف القتال على شروطٍ، اختار بقيّة عليّ ما اختاره أبوه – عليهما السلام – قبل خمس وعشرين سنةً، ونفض يديه – مكرهاً – من الاحتكام إلى القتال. كان هذا اليوم – والحقّ يقال – أكثر أيّام المسلمين خيبةً ومرارةً، كان من السّهل اليسير على الإمام أن يأمر بمتابعة القتال، فيقاتل مع أصحابه حتى يقتلوا، إنّه ابن عليّ عليهما السلام، وليس هو بالذي يخشى الموت، لكنّه كان يدرك جيّداً أنّه لن يقتل حتى يتقدّمه أهله جميعاً إلى القتل، وأنّ أهله أيضاً لن يقتلوا حتى يسبقهم إلى الموت أنصارهم، دون أن تكون بقتلهم الفائدة المرجوّة في توعية المسلمين، لأنّ حقيقة الخلاف بين الحسن ومعاوية كانت ما تزال خافيةً على الكثيرين؛ وهذا هو عين ما كان معاوية يريده ويتمنّاه، كان طيلة حكمه في الشّام يدّعي ويوهم النّاس بأنّه حامي حمى الإسلام، وكان الناس يصدّقون ذلك، لأنّهم لم يكونوا قد كشفوا بعد خيانته للإسلام والمسلمين، وأنّه إنّما يرمي إلى تأمين مصالحه ومصالح عائلته، متوسّلاً بحمايته للإسلام في سبيل ذلك، هذه هي حقيقة الخلاف بين الرّجلين، فإذا قتل الحسن اليوم فلن يعرف الناس الحقيقة، وهكذا . . وفي أكثر أيّام المسلمين ظلاماً، وحيث لم تكن – حتّى دماء الشهداء – لتجدي نفعاً في إيقاظ الأمّة من سباتها قبِل الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح، وأعطى فرصةً ليومٍ آخر سيأتي . . يوم سيكتشف الناس فيه حقيقة معاوية، وحقيقةً الخلاف فيهبّوا عندها للقتال وللشهادة، بعد أن يكونوا قد عرفوا الحقيقة قبل الإمام الصّلح بعد أن أخذ من معاوية الشقّي عهداً اعترف فيه هذا بكثير من الحقائق التي كانت سبباً في وعي الناس وإدراكهم، وهذا ما كان يرمي إليه الحسن (عليه السلام)، وقد تعهّد معاوية بألاّ يعيّن ولياً لعهده، فليس ذلك من حقّه، وأن يدع الشيعة وشأنهم فلا يتعرض لهم

بقتلٍ أو أذيّةٍ، وأن يمنع أعوانه من شتم أميرالمؤمنين (عليه السلام)، وأن يدفع للحسن الخراج الذي هو حقّ له، وأمور غيرها تمّ الاتّفاق والتوقيع عليها، وتوقّف القتال، وعاد الإمام وأهله وأصحابه إلى الكوفة، أحسّ أصحاب الحسن (عليه السلام) بالخيبة والخذلان، حتى تمنّى بعضهم أن لو تخطّفه الموت ولم ير هذا اليوم، واحتجّ الكثيرون على قبول الإمام بالصّلح ، وصدرت عن بعضهم أقوال غير لائقةٍ ، أمّا الحسين (عليه السلام) فقد كان الوحيد الذي تقبّل هذا الصّلح ولم يعترض عليه قطّ مسلمّاً بحكم أخيه الإمام (عليه السلام)، وراضياً بصواب تصرّفه.

الحقيقة أنّ الكثيرين لم يلتفتوا إلى أمر هامّ، وهو أنّ معارضتهم للإمام هي في حكم معارضتهم للقرآن الكريم، الذي يعرّفنا بعصمة أهل البيت عليهم السلام، وأنّ ما يقرّرونه من صلح أو حربٍ أو أمرٍ أو نهيٍ، فهو أمور مبرمة مقدّسة. وأنّ اعتراضهم هو ردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: الحسن والحسين إمامان إن قاما وان قعد، لكنّ الناس يتسرّعون بالحكم دون رويّةٍ أو تفكيرٍ، توجّه معاوية بعد ظفره نحو الكوفة، معقل أميرالمؤمنين وأصحابه، وهناك وقف على منبر مسجدها الكبير، يملأ الغرور أعطافه، وشرع يتناول أصحاب عليّ (عليه السلام) بكلامٍ بذيءٍ غير لائق، ثمّ تناول بتقريعه رؤساء القبائل، فغدر بهم بعد أن كان قد أبرم معهم المواثيق، وصار يحدّدهم بالاسم والإشارة، وخلّفهم في وضعٍ فاضحٍ ذليلٍ، لا يحسدون عليه. وهذه هي عاقبة الخيانة على أيّ حالٍ، فالذّين أقدموا على خيانة الإمام (عليه السلام) لم يظفروا حتّى بعطفٍ بائسٍ من معاوية. توجّه الإمام وأهله بعد هذه الأحداث نحو يثرب، حيث استقرّوا هناك، وتسلّم بنو أميّة حكم الكوفة، وفي مكان عليّ وعلى منبره حلّ زياد ابن أبيه ومن بعده ابنه، واضطرّ أولئك الذين كانوا ينتحلون الأعذار لتبرير مواقفهم من حكم أميرالمؤمنين عليّ (عليه السلام)، ورفضوا قبول حكم العدل والتقوى من إبنه بعده، اضطرّوا لأن

يحنوا هاماتهم تحت سيوفٍ ملطّخة بالدّماء، وعرفوا ولكن متأخّرين قدر النّصائح التي رفضوها، كما عرفوا أيّ بلاءٍ جلبوه لأنفسهم، وندموا على ما قدّمته أيديهم، لكنّ الندّم المتأخّر لا خير فيه، كان أولئك المنحرفون يعلنون العصيان باستمرارٍ، ولأسباب وأعذارٍ واهيةٍ، طيلة خمس سنوات من حكم الإمام عليّ (عليه السلام) وبضعة شهورٍ من حكم ابنه الحسن. لكنّهم الآن قعدوا يلعقون جراحهم، وتركوا لمعاوية الحبل على غاربه، يفعل ما يشاء، دون أن يزعجوه بحرفٍ أو يعترضوه بكلمةٍ، فلا طلحة ولا الزبير بينهم يرفعان لواء التمرّد والعصيان، ولا خوارج يثيرونها فتنةً هوجاء عمياء، أمّا المنافقون فحدّث عنهم ولا حرج. في تلك الفترة السّوداء الكالحة من التاريخ، كان أصحاب عليّ فقط، هم الذين تصدّوا وحدهم لحكم الطّغيان، وقدّموا أرواحهم في هذا السبيل، أمّا الأجراء أصحاب الجعالات، فقد زحفوا على وجوههم وبطونهم، ينثرون المديح للحكّام دون أن ينسوا علياً عليه السلام من سبابهم وشتائمهم، والكلام الذي لا يصدر إلاّ عن أمثالهم، كم هو يسير أن يقف المؤمنون في وجه جبابرة التاريخ، غير أنّ الوقوف في وجه «معبودٍ» أجمع الكثيرون على «عبادته» أمر فوق الطّاقة.

نقض العهد :

وأخيراً . . وحين أدرك معاوية اقتراب أجله، خشي أن تنتقل الخلافة بعده إلى الحسن، فتضيع جهوده التي أفنى عمره في سبيلها، ويعود أهل البيت إلى حقهم، وهنا الطّامّة الكبرى، فعزم على دسّ السمّ للإمام الحسن (عليه السلام)، ونفّذ ما عزم عليه، وقضى على الإمام مسموماً بيد زوجته، متنكّراً لكلّ عهدٍ أبرمه أو ميثاق أقسم عليه، وغمر الفرح باستشهاد الإمام قلب مروان عدوّ الله وعدوّ نبيّه، وقلوب كثيرين غيره فلم يخجلوا من رشق تابوته بنبالهم عند تشييعه عليه السلام، إنصرف

معاوية بعد ذلك إلى إكمال خطّته، فأخذ البيعة لابنه يزيد شارب الخمر من أهل الشّام أوّلاً، ثم من أهل مكّة والمدينة، فضمن بذلك استمرار حكم بني أميّة، دون أن يجد من آل طلحة والزبير من يرفع في وجهه راية «الجهاد». ألا ما أشبه اليوم بالأمس، فقد حال النّاس دون الإمام وحقّه اليوم، كما فعلوا مع أبيه بالأمس. وقطفوا - في الحالتين - ثمار عملهم ذلاً وخذلاناً. لقد بذل الحسن (عليه السلام) جهده في إرشادهم وتوعيتهم، لكنّه كان يعي حقيقة قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: {إنّك لا تهدي من أحببت، ولكنّ الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين}. كان يعلم أنّ للرّسول مهمّةً يؤدّيها، وهي إبلاغ رسالة ربّه إلى الناس، أحبّوا أن يؤمنوا بها أم لم يحبّوا، وكذلك فللإمام مهمّته أيضاً، وهي أن يرعى استمرار سيرة الرسول، ويحفظ الإسلام ويصونه بما يراه مناسباً، وهذا ما فعله عليه السلام، فقد سلك سبيلاً كشف للناس ما كان خافياً عليهم من حقائق، وبيّن للجميع أنّ الخطر على الإسلام يكمن في انخداع النّاس بالمظاهر الكاذبة للحكّام والقادة، الذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون غير ما يبدون، وعلّمهم أنّ صون الإسلام وصون وحدة المسلمين أمر يقتضي منهم الصّبر الجميل، كما صبر هو كثيراً على هضم حقّه، وصبر على ظلم بعض أصحابه له حين خاطبوه بقولهم: يا مذلّ المؤمنين لقد صبر وهو يعلم أنّ صبره إنّما هو في سبيل الله وعزّة المسلمين، فلا ضير فيه طالما أنّه يغرس بذور الثّورة على الظلم، ثورة أخيه الحسين، لقد كان عهده وصلحه جزءاً من ثورة الحسين، وحقّ فيه وفي أخيه عليهما السلام قول جدّهما الرسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»

مكارم الأخلاق عند المجتبى :

العابد الزاهد:

حجَّ الإمام الحسن (عليه السلام) خمساً وعشرين مرةً ماشياً، والنجائب تقاد من بين يديه، وكلما مرَّت به طائفة صعقت وخفت بالنزول إجلالاً لسموِّه وكبير مكانته فلم يزل حتى يعدل بطريقه عن الشارع العام،ليبلغ في تذلله للخالق كلّ مبلغ، وكان إذا ذكر الله عزَّ وجلَّ بكى، وإذا سُمِّي لديه القبر بكى، وإذا قيل في البعث شيء بكى، وإذا ذُكِّر بالصراط في المعاد بكى، وإذا ذُكر لديه العَرض الأكبر إذ الخلائق بين يدَي الله القدير كلُّ ينظر في شأنه ولهم شؤون تغنيهم عن الآخرين بكى.

أما إذا حدَّث بالجنة والنار اضطرب اضطراب السليم ، وسأل الله الجنة واستعاذ به من النار، وإذا توضـأ فإنه كان يصفرُّ لونُه وترتعدُ فرائصُه، فإذا قام إلى الصلاة اشتد اصفرار لونه وارتعاد فرائصه وأما أمواله فقد قاسَمَ الله فيها ثلاثَ مرات، نصفاً بذل ونصفاً أبقى. وقد خرج من ماله كله مرتين في سبيل الله، فلم يبقَ له شيء إلا أعطاه في سبيل الله، ولا تمر عليه حال من الأحوال إلاّ ذكر الله عزّ وجلّ رغَباً ورهَباً، أما ما قال فيه معاصروه، فقد قالوا : وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم بالدنيا، ولقد أفرد بعض الكتّاب الأولين، موضوع زهد الإمام الحسن (عليه السلام) في مجلد خاص، مثل محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المتوفي سنة 381 في كتابه (كتاب زهد الحسن عليه السلام) .

المهيب الحبيب:

قال واصفوه: ما رآه أحد إلاّ هابه، وما خالطه إنسان إلاّ أحبّه، ولا سمعه عدوٌ له أو صديقٌ خاطباً فاجترأ عليه بالتكلم واللغو. وقالوا في شمائله أيضاً : لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي (عليه السلام)، خلقاً وخُلقاً وهيئة وهدياً وسؤدداً، وقالوا كذلك: كان أبيض اللون مُشْرباً بحمرة، أدعج العينين سهل الخدَّين، كَثَّ اللحية، جَعْد الشعر، كأنَّ عنقه إبريق فضة، حسن البدن، بعيد ما بين المنكبَين، عظيم الكراديس، رقيق المرية، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان الإمام (عليه السلام) محبوباً لدى الجميع، يكرمه البعيد والقريب سواء، ومن مظاهر محبوبيته العامة، أنه كان يفرش له بباب داره في المدينة، يجلس يقضي حوائج الناس ويحل مشاكلهم، فكلّ من يمرّ به يقف هنيئة يسمع حديثه، ويرى شمائله ويتزود بها من شمائل الرسول الأكرم وملامحه ﷺ فلا يزال حتى ينسد الطريق دون المّارة، فإذا عرف الإمام ذلك قام ودخل لكي لا يسبب قطع الطريق، وقال فيه محمد بن إسحاق: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ﷺ، ما بلغ الحسن بن علي وقال فيه الزبير : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي، وكان ابن عباس يأخذ بركاب الحسن والحسين على عادة من يريد أن يبالغ في تواضعه إلى أحد، ويعرف الناس مدى خضوعه لسموِّه، فإنه كان يقود له الراحلة كالذي يُستأجر لذلك بالمال، فكان ابن عباس يصنع ذلك للحسين، فرآه ذات مرة مدرك بن زياد، فاندهش إذ رأى شيخ المفسرين يصنع هذا الإكرام بالحسين، فقال أنت أسنّ منهما تُمسك لهما بالركاب. فصاح ابن عباس في وجهه: يالكع !! وما تدري من هذان ؟. هذان ابنا رسول الله أوليس مما أنعم الله عليّ به أن أُمسك لهما وأسوِّي عليهما ؟. وكان اذا امتطى الصحراء إلى مكة ماشياً، ورآه المسلمين نزلوا يمشون.

الجواد الكريم:

أتاه رجل يطلب حاجة وهو يستحيي من الحاضرين أن يفصح عنها فقال له الإمام: اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا، فكتب الرجل حاجته ورفعها، فضاعفها له الإمام مرتين وأعطاه في تواضع كبير، فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يابن رسول الله ! فقال: بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً، أما علمت: إن المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة. فأمَّا مَن أعطيته بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه. وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة ردّ، أم بسرور النجح، فيأتيك وفرائصه ترعد، وقلبه خائف يخفق، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه فإن ذلك أعظم مما ناله من معروفك. وجاءه رجل يسأل معروفاً، فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال له: إئت بحمّال لك، فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال هذا كرى الحمّال وجاءه أعرابي يريد أن يسأله حاجة ، فقال الإمام لمن حوله: أعطوه ما في الخزينة، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعت إليه قبل أن يسأل فاندهش الأعرابي، وحجّ ذات سنة هو وأخوه الإمام الحسين (عليه السلام)، وعبد الله بن جعفر، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فرأوا عجوزاً في خباء فاستسقوها فقالت هذه الشويهة، أحلبوها واستطعموها فذبحت لهم شاتها وشوتها ، فلما طعموا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا عدنا فَمُرِّي بنا، فإنا صانعون بك خيراً. ثم مضت بها الأيام وأضرت بها الحال، فرحلت حتى وصلت المدينة المنورة. فرآها الحسن (عليه السلام) فعرفها فقال لها: أتعرفينني ؟. قالت : لا . قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا فأمر لها بألف شاة وألف دينار، وبعث بها إلى الحسين (ع) فأعطاها مثل ذلك ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك. وتنازع رجلان هذا أموي يقول: قومي أسمح وهذا

هاشمي يقول : بل قومي أسمح، فقال أحدهما: فاسأَلْ أنت عشرة من قومك، وأنا أسأل عشرة من قومي، يريد أن يسأل كلٌّ عطاء عشرة من قومه، فينظروا أيّ القومين أسخى وأسمح يداً. ثم إذا عرفوا ذلك أرجع كلّ منهما الأموال إلى أهلها، كلّ ذلك شريطة أن لا يخبرا من يسألاه بالأمر، فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة من قومه فأعطاه كلّ واحد منهم ألف درهم. وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم، ثم أتى الحسين فقال: هل بدأت بأحد قبلي ؟ قال : بدأت بالحسن، قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم، فجاء صاحب بني أمية يحمل عشرة آلاف درهم من عشرة أنفس وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسَين، فغضب صاحب بني أمية، حيث رأى فشله في مبادراته القبلية. فردّ الأول حسب الشرط ما كان قد أخذه من بني أمية فقبلوه فَرحِين، وجاء صاحب بني هاشم الحسن والحسين يردّ عليهما أموالهما فأبيا أن يقبلاهما قائلين : ما نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق.

المتواضع الحليم:

مرّ بطائفة من الفقراء جلوساً على كسيرات من الرغيف يأكلونها، فلما رأوا موكب الإمام قاموا إليه، ودعـــوه إلى طعامهم قائلين هلّم يابن رسول الله إلى الغداء، فنزل وهو يقول : " إن اللـه لايحب المتكبريـــن " وجعل يأكل معهم ثم دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم، وعصفت به ظروف عصيبة أن لو مرت على الجبال لتدكدكت، وازدحمت فوق كتفيه مسؤوليات عظيمة فاضطلع بها وتغلب على صعابها في حلم وأناة، مما دفع أشدّ الناس عداوة له – وهو مروان – إلى أن يقول: كان من حلمه ما يوازن به الجبال. وكانت صفة الحلم أبرز سماته (عليه السلام)، حيث كان يشبّه فيها بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

التشييع :

قامت المدينة المنورة لتشييع جثمان ابن بنت رسول الله ﷺ الذي لم يزل ساهراً على مصالحهم قائماً بها أبداً. وجاء موكب التشييع يحمل جثمانه الطاهر إلى الحرم النبويِّ ليدفنوه عند الرسول، أو ليجددوا العهد معه على ما كان قد وصَّى به الإمام، فركبت عائشة بغلة شهباء واستنفرت بني أمية وجاؤوا إلى الموكب الحافل بالمهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر الجماهير المؤمنة الثاوية في المدينة، فقالت عائشة تصيح: يا رُبَّ هيجاء هي خير من دعة !. أيُدفن عثمان بأقصى المدينة ويدفن الحسن عند جدِّه ! ثم صرخت في الهاشميين، نحّوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قوم خصمون .. ولولا وصية من الحسن (عليه السلام) بالغة على الحسين (عليه السلام)، ألاَّ يُراق في تشييعه ملء محجمةِ دمٍ، لَمَا ترك بنو هاشم لبني أمية في ذلك اليوم كياناً، ولولا أن الحسين نادى فيهم: الله الله يا بني هاشم، لا تضيّعوا وصية أخي، واعدلوا به إلى

البقيع، فإنه أقسم عليَّ ان أنا مُنعت من دفنه عند جدِّه إذاً لا أُخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه في البقيع، وقبل أن يعدلوا بالجثمان، كانت سهام بني أمية قد تواترت على جثمان السبط وأخذت سبعين سهماً مأخذها منه، فراحوا إلى البقيع وقد اكتظ بالناس فدفنوه حيث الآن يُزار مرقده الشريف عليه السلام وهكذا عاش السبط الأكبر لرسول الله ﷺ، نقياً طاهراً مقهوراً مهتضماً، ومضى شهيداً مظلوماً محتسباً، فسلام الله عليه ما بقي الليل والنهار.

الشهيد الحسين بن علي عليه السلام

قلة هم أولئك الذين يتسنّمون قمم الخلود والسمو والعظمة، وقلة هم أولئك الذين ينفصلون عن آخر الزمان والمكان. ليكونوا ملكاً للحياة والإنسان، أولئك القلة هم عظماء الحياة، وأبطال الإنسانية، ولذلك تبقى مسيرة الحياة، ومسيرة الإنسان، مشدودة الخطى نحوهم، وما أروع الشموخ والسمو والعظمة، إذا كان شموخاً وسمواً وعظمة، صنعه إيمان بالله، وصاغته عقيدة السماء. من هنا كان الخلود حقيقة حية لرسالات السماء، ولرسل السماء، ورجالات المبدأ والعقيدة... وفي دنيا الإسلام تاريخ مشرق نابض بالخلود وفي دنيا الإسلام، قمم من رجال صنعوا العظمة في تاريخ الإنسانية، وسكبوا النور في دروب البشرية. وإذا كان للتاريخ أن يقف وقفة إجلال أمام أروع أمثولة للشموخ. وإذا كان للدنيا أن تكبر لأروع تضحية سجلها تاريخ الفداء. وإذا كان للإنسانية أن تنحني في خشوع أمام أروع أمثولة للبطولة. فشموخ الحسين وتضحية الحسين، وبطولة الحسين، أروع أمثلة شهدها تاريخ الشموخ والتضحيات والبطولات، الحسين بن علي (عليه السلام) قمة من قمم الإنسانية الشامخة، وعملاق من عمالقة البطولة والفداء، فالفكر يتعثر وينهزم، واليراع يتلكأ ويقف أمام إنسان فذّ كبير كالإمام الحسين وأمام وجود هائل من التألق والإشراق، كوجود الحسين. وأمام إيمان حي نابض، كإيمان الحسين. وأمام سمو شامخ عملاق كسمو الحسين وأمام حياة زاهرة بالفيض والعطاء كحياة الحسين. إننا لا يمكن أن نلج آفاق العظمة عند الإمام الحسين، إلا بمقدار ما نملك من بعد في القصور وانكشاف في الرؤية، وسمو في الروح والذات، فكلما تصاعدت هذه الأبعاد، واتسعت هذه الأُطر، كلما كان الانفتاح على آفاق العظمة في حياة الإمام الحسين أكثر وضوحاً، وأبعد عمقاً، فلا يمكن أن نعيش العطاء الحي لفيوضات الحسين، ولا يمكن أن تغمرنا النديّة، والأشذاء

الرويّة، لنسمات الحياة تنساب من أفق الحسين، ولا يمكن أن تجللنا إشراقات الطهر، تنسكب من أقباس الحسين. إلا إذا حطمت عقولنا أسوار الانفلاق على النفس، وانفلتت من أسر الرؤى الضيقة، وتسامت أرواحنا إلى عوالم النبل والفضيلة، وتعالت على الحياة المثقلة بأوضار الفهم المادي الزائف. فيا من يريد فهم الحسين، ويا من يريد عطاء الحسين، ويا من يتعشق نور الحسين، ويا من يهيم بعلياء الحسين افتحوا أمام عقولكم مسارب الانطلاق إلى دنيا الحسين، اكسحوا من حياتكم أركمة العفن والزيف، حرّروا أرواحكم من ثقل التيه في الدروب المعتمة، عند ذلك تنفتح دنيا الحسين، وعند ذلك تتجلى الرؤية، وتسمو النظرة، ويفيض العطاء، فأعظم إنسان جدّه محمد سيد المرسلين، وأبوه علي بطل الإسلام الخالد، وسيد الأوصياء، وأمه الزهراء فاطمة سيدة نساء العالمين، وأخوه السبط الحسن ريحانة الرسول، نسب مشرق وضّاء، ببيت زكي طهور. في أفياء هذا البيت العابق بالطهر والقداسة ولد سبط محمد (صلى الله عليه وآله)، وفي ظلاله إشراقة الطهر من مقبس الوحي، وتمازجت في نفسه روافد الفيض والإشراق، تلك هي بداية حياة السبط الحسين، أعظم بها من بداية صنعتها يد محمد وعلي وفاطمة (صلى الله عليهم أجمعين)، وأعظم به من وليد، غذاه فيض محمد (صلى الله عليه وآله) وروي نفسه إيمان علي (عليه السلام) وصاغ روحه حنو فاطمة (عليها السلام)، وهكذا كانت بواكير العظمة تجد طريقها إلى حياة الوليد الطاهر، وهكذا ترتسم درب الخلود في حياة السبط الحسين، فكانت حياته (عليه السلام) زاخرة بالفيض والعطاء، وكانت حياته شعلة فرشت النور في درب الحياة، وشحنة غرست الدفق في قلب الوجود.

نسبه عليه السلام :

هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، جده لأمه رسول الله ﷺ، وجده لأبيه أبو طالب، وجدته لأمه خديجة بنت خويلد، وجدته لأبيه فاطمة بنت أسد، أبوه علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام، أخوه لأمه وأبيه الإمام الحسن عليه السلام وأخواته لأمه وأبيه زينب الكبرى، وأم كلثوم عليهما السلام.

ولد بالمدينة في الثالث من شعبان سنة أربع للهجرة، ولما ولد جيء به إلى جده رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاستبشر به، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحنكه بريقه، فلما كان اليوم السابع سماه حسيناً، وعقّ عنه بكبش، وأمر أمه عليها السلام أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة

ولادته والكرامات الحاصله له ولأخيه الحسن :

الأمر الأول: في تسمية الحسين عليه السلام:

لما كان ذكر ولادة الحسن والحسين وتسميتهما واحدة وحالت ولادتهما متشابه نذكر هنا رواية واحدة تفصل موضوع تسميتهما وكون أن اسميهما الكريمين مختارين من قبل الله تعالى وفي هذا الباب روايات كثيرة نذكر واحدة منها ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة المطولات كالبحار وغيره : عن علي بن الحسين عليهم السلام عن أسماء بنت عميس قالت قبلت (كانت قابلة و مولدة) جدتك فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام، فلما ولد الحسن عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا أسماء هاتي ابني ، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله وقال : يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء ، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه، فأذن في إذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم قال لعلي عليه السلام: بأي شئ سميت ابني ؟ قال : ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله، قد كنت احب أن اسميه حربا فقال النبي صلى الله عليه وآله : ولا أسبق أنا باسمه ربي، ثم هبط جبرائيل عليه السلام فقال : يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك سم ابنك هذا باسم ابن هارون: قال النبي صلى الله عليه وآله: وما اسم ابن هارون ؟ قال: شبر، قال النبي صلى الله عليه وآله لساني عربي، قال جبرائيل عليه السلام : سمه الحسن، قالت أسماء: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعة عق النبي صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا وديناراً وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية، قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءني النبي ﷺ فقال: يا أسماء هلمي بإبني، فدفعته إليه في خرقة

بيضاء فأذن في إذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره فبكى، فقالت أسماء : قلت : فداك أبي وأمي مم بكاؤك، قال: على ابني هذا قلت: إنه ولد الساعة يا رسول الله فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته، ثم قال لعلي عليه السلام: أي شئ سميت ابني ؟ قال : ما كنت لاسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنت احب أن اسميه حربا فقال النبي صلى الله عليه وآله ولا أسبق باسمه ربي عز وجل ، ثم هبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: علي منك كهارون من موسى، سم ابنك هذا باسم ابن هارون قال النبي صلى الله عليه وآله وما اسم ابن هارون ؟ قال : شبير قال النبي صلى الله عليه وآله : لساني عربي، قال جبرائيل : سمه الحسين فسماه الحسين فلما كان يوم سابعة عق عنه النبي صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا ثم حلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق، فقال : يا أسماء الدم فعل الجاهلية، بيان: الملحة: بياض يخالطه سواد، والخلوق: طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة، عمران بن سلمان وعمرو بن ثابت قالا: الحسن والحسين اسمان من أسامي أهل الجنة ولم يكونا في الدنيا. عن جابر قال النبي صلى الله عليه وآله: سمي الحسن حسنا لان بإحسان الله قامت السماوات والأرضون، واشتق الحسين من الإحسان، وعلي والحسن اسمان من أسماء الله تعالى والحسين تصغير الحسن، وحكى أبو الحسين النسابة: كأن الله عز وجل حجب هذين الاسمين عن الخلق يعني حسنا وحسينا يسمي بهما ابنا فاطمة عليها السلام فانه لا يعرف أن أحدا من العرب تسمى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما لا من ولد نزار ولا اليمن مع سعة أفخاذهما.

الأمر الثاني: وُلد الحسين طاهراً نظيف:

عن صفية بنت عبد المطلب قالت: لما سقط الحسين من بطن أمه وكنت وليتها عليها السلام. قال النبي صلى الله عليه وآله: يا عمة هلمي إلي ابني، فقلت: يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد، فقال: يا عمة أنت تنظفينه ؟ إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره.

الأمر الثالث: في إرتضاعه من لسان النبي:

عن صفيه بنت عبد المطلب قالت: لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه فدفعته إلى النبي صلى الله عليه وآله فوضع النبي لسانه في فيه وأقبل الحسين على لسان رسول الله يمصه قالت: فما كنت أحسب رسول الله صلى الله عليه وآله يغذوه إلا لبنا أو عسلا قالت: فبال الحسين عليه فقبل النبي صلى الله عليه وآله بين عينيه ثم دفعه إلي وهو يبكي ويقول: لعن الله قوما هم قاتلوك يا بني يقولها ثلاثا، قالت : فقلت: فداك أمي ومن يقتله ؟ قال: بقية الفئة الباغية من بني أمية لعنهم الله عن برة ابنة امية الخزاعي قالت: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن خرج النبي صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه فقال لها: إنك ستلدين غلاما قد هنأني به جبرائيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن، عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته فقلت لها: أعطينيه حتى ارضعه، فقالت: كلا ثم أدركتها رقة الأمهات فأرضعته فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله قال لها: ماذا صنعت ؟

قالت: أدركتني عليه رقة الأمهات فأرضعته فقال: أبى الله عز وجل إلا ما أراد، فلما حملت بالحسين عليه السلام قال لها: يا فاطمة إنك ستلدين غلاما قد هنأني به جبرائيل فلا ترضعيه حتى أجئ إليك ولو أقمت شهرا قالت: أفعل ذلك، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض وجوهه

فولدت فاطمة الحسين عليه السلام فما أرضعته حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها: ماذا صنعت ؟ قالت: ما أرضعته، فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمص حتى قال النبي صلى الله عليه وآله : إيها حسين إيها حسين ثم قال : أبى الله إلا ما يريد هي فيك وفي ولدك يعني الإمامة.

الأمر الرابع: ولد الحسين لستة أشهر:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرائيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرائيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة، تقتله أمتي من بعدي، فعرج ثم هبط عليه السلام فقال له مثل ذلك. فقال: يا جبرائيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرائيل عليه السلام إلى السماء ثم هبط فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصاية، فقال: قد رضيت ثم أرسل إلى فاطمة أن الله يبشرني بمولود يولد لك، تقتله أمتي من بعدي. فأرسلت إليه لا حاجة لي في مولود (مني)، تقتله أمتك من بعدك فأرسل إليها أن الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية فأرسلت إليه إن قد رضيت، فحملته كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي " فلولا أنه قال : أصلح لي في ذريتي لكانت ذريته كلهم أئمة، ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيها اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ودمه ولم

يولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم عليه السلام والحسين بن علي عليهما السلام.

الأمر الخامس:في يوم ولادته غفر الله لفطرس ودردائيل وصلصائيل:
جاءت روايات كثيرة في أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لفطرس كما ورد أيضاً في ودردائيل وصلصائل ـ وأنهم كانوا ملائكة كان مغضوب عليهم ففي يوم ولادة الحسين عليه السلام كرامة له عليه السلام غفر الله لهم عن إبراهيم بن شعيب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : {{إن الحسين بن علي لما ولد أمر الله عز وجل جبرائيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنئ رسول الله صلى الله عليه وآله من الله عز وجل ومن جبرائيل، قال : فهبط جبرائيل فمر على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له: فطرس كان من الحملة بعثه الله عز وجل في شئ فأبطأ عليه فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة فعبد الله تبارك وتعالى فيها سبعمائة عام حتى ولد الحسين بن علي عليهما السلام، فقال الملك لجبرائيل: يا جبرائيل أين تريد ؟ قال: إن الله عز وجل أنعم على محمد بنعمة فبعثت أهنئه من الله ومني فقال: يا جبرائيل احملني معك لعل محمدا صلى الله عليه وآله يدعو لي، قال : فحمله قال: فلما دخل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله هنأه من الله عز وجل، ومنه وأخبره بحال فطرس، فقال النبي صلى الله عليه وآله : قل له : تمسح بهذا المولود، وعد إلى مكانك، قال فتمسح فطرس بالحسين بن علي عليهما السلام وارتفع، فقال: يا رسول الله أما إن أمتك ستقتله وله علي مكافاة ألا يزوره زائر إلا أبلغته عنه ولا يسلم عليه مسلم إلا أبلغته سلامه ولا يصلي عليه مصل إلا أبلغته صلاته ثم ارتفع}} . قال ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : {{إن لله تبارك وتعالى ملكا يقال له: دردائيل كان له ستة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح هواء، وآلهواء كما بين السماء والأرض فجعل يوماً

يقول في نفسه: أفوق ربنا جل جلاله شئ ؟ فعلم الله تبارك وتعالى ما قال فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثم أوحى الله عز وجل إليه أن: طر فطار مقدار خمسمائة عام، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلما علم الله عز وجل أتعابه، أوحى إليه أيها الملك عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شئ، ولا أوصف بمكان، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، فلما ولد الحسين بن علي صلوات الله عليهما، وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة أوحى الله إلى مالك خازن النيران أن اخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد صلى الله عليه وآله، وأوحى إلى رضوان خازن الجنان أن زخرف الجنان وطيبها لكرامة مولد ولد لمحمد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى إلى حور العين [أن] تزين وتزاورن لكرامة مولود ولد لمحمد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى الله إلى الملائكة أن قوموا صفوفا بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير، لكرامة مولود ولد لمحمد صلى الله عليه وآله في دار الدنيا، وأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل عليه السلام أن اهبط إلى نبيي محمد في ألف قبيل، في القبيل ألف ألف ملك على خيول بلق مسرجة ملجمة، عليها قباب الدر والياقوت، معهم ملائكة يقال لهم: الروحانيون بأيديهم حراب من نور أن هنئوا محمدا بمولوده، وأخبره يا جبرئيل أني قد سميته الحسين وعزه وقل له: يا محمد يقتله شرار أمتك على شرار الدواب فويل للقاتل، وويل للسائق، وويل للقائد، قاتل الحسين أنا منه برئ وهو مني برئ لأنه لا يأتي أحد يوم القيامة إلا وقاتل الحسين أعظم جرما منه، قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أن مع الله إلها آخر والنار أشوق إلى قاتل الحسين ممن أطاع الله إلى الجنة قال : فبينما جبرائيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مر بدردائيل فقال له دردائيل : يا جبرائيل ما هذه الليلة في السماء هل قامت القيامة على أهل الدنيا قال

لا و لكن ولد لمحمد مولود في دار الدنيا وقد بعثتني الله عز وجل إليه لأهنئه بمولوده فقال الملك له: يا جبرائيل بالذي خلقك وخلقني إن هبطت إلى محمد فأقرئه مني السلام وقل له: بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت الله ربك أن يرضى عني ويرد علي أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله وهنأه كما أمره الله عز وجل وعزاه، فقال النبي صلى الله عليه وآله : تقتله أمتي ؟ قال : نعم، فقال النبي صلى الله عليه وآله ما هؤلاء بأمتي أنا برئ منهم والله برئ منهم قال جبرائيل: وأنا برئ منهم يا محمد فدخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة وهنأها وعزاها فبكت فاطمة عليها السلام وقالت : يا ليتني لم ألده قاتل الحسين في النار وقال النبي صلى الله عليه وآله أنا أشهد بذلك يا فاطمة ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام تكون منه الأئمة الهادية بعده، ثم أخبر جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله بقضية الملك وما أصيب به، قال ابن عباس فأخذ النبي صلى الله عليه وآله الحسين وهو ملفوف في خرق من صوف فأشار به إلى السماء ثم قال : اللهم بحق هذا المولود عليك، لا بل بحقك عليه، وعلى جده محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، إن كان للحسين بن علي ابن فاطمة عندك قدر فارضَ عن دردائيل ورد عليه أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك، والملك لا يعرف في الجنة إلا بأن يقال: هذا مولى الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان ملك بين المؤمنين يقال له: صلصائيل، بعثه الله في بعث فأبطأ فسلبه ريشه ودق جناحيه وأسكنه في جزيرة من جزائر البحر إلى ليلة ولد الحسين عليه السلام فنزلت الملائكة واستأذنت الله في تهنئة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وتهنئة أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام فأذن الله لهم فنزلوا أفواجا من العرش ومن السماء فمروا بصلصائيل وهو ملقى في

جزيرة فلما نظروا إليه وقفوا فقال لهم يا ملائكة ربي إلى أين تريدون ؟ وفيم هبطتم ؟ فقالت له الملائكة: ياصلصائيل قد ولد في هذه الليلة أكرم مولود ولد في الدنيا بعد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه علي وأمه فاطمة وأخيه الحسن والحسين وقد استأذنا الله في تهنئة حبيبه محمد صلى الله عليه وآله لولده فأذن لنا، فقال صلصائيل: يا ملائكة الله إني أسألكم بالله ربنا وربكم وبحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وبهذا المولود أن تحملوني معكم إلى حبيب الله وتسألونه وأسأله أن يسأل الله بحق هذا المولود الذي وهبه الله له أن يغفر لي خطيئتي ويجبر كسر جناحي ويردني إلى مقامي مع الملائكة المقربين، فحملوه و جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فهنئوه بابنه الحسين عليه السلام وقصوا عليه قصة الملك وسألوه مسألة الله والإقسام عليه بحق الحسين عليه السلام أن يغفر له خطيئته ويجبر كسر جناحه، ويرده إلى مقامه مع الملائكة المقربين، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على فاطمة عليها السلام فقال لها: ناوليني ابني الحسين فأخرجته إليه مقموطا يناغي جده رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج به إلى الملائكة فحمله على بطن كفه فهللوا وكبروا وحمدوا الله تعالى وأثنوا عليه، فتوجه به إلى القبلة نحو السماء، فقال : اللهم إني أسألك بحق ابني الحسين أن تغفر لصلصائيل خطيئته، وتجبر كسر جناحه، وترده إلى مقامه مع الملائكة المقربين، فتقبل الله تعالى من النبي صلى الله عليه وآله ما أقسم به عليه، وغفر لصلصائيل خطيئته وجبر كسر جناحه، ورده إلى مقامه مع الملائكة المقربين.

الأمر السابع: جبريل يلهي الحسين حتى تستيقظ أمه:

وفي المسألة الباهرة في تفضيل الزهراء الطاهرة، عن أبي محمد الحسن بن طاهر القائني الهاشمي قال: جاء الحديث: أن جبرائيل نزل

يوما فوجد الزهراء نائمة والحسين قلقا على عادة الأطفال مع أمهاتهم فقعد جبرائيل يلهيه عن البكاء حتى استيقظت فأعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك.

الأمر الثامن: النبي يعلمنا أنه لا يجوز إيذاء الحسين:
عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتي بالحسين بن علي عليهما السلام فوضع في حجره فبال عليه فاخذ فقال: لاتزرموا ابني ثم دعى بماء فصب عليه. قال الأصمعي الازرام: القطع ، يقال للرجل إذا قطع بوله أزرمت بولك وأزرمه غيره إذا قطعه، وزرم البول نفسه إذا انقطع.

الأمر التاسع: النبي يفدي إبنه للحسين:
عن ابن عباس قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي وهو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا إذ هبط جبرائيل بوحى من رب العالمين، فلما سري عنه قال : أتاني جبرائيل من ربي فقال: يا محمد إن ربك يقرء عليك السلام ويقول: لست أجمعها لك فأفد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين فبكى، وقال : إن إبراهيم أمه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما يا جبرائيل يقبض إبراهيم فديته للحسين، قال: فقبض بعد ثلاث فكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلا قبله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه، وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم.

الأمر العاشر: النبي يلاعب الحسن والحسين:

روى عدة أنه: كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجرة وقال: من أحبني فليحب هذين، وفي رواية الحلية: ذروهما بأبي وأمي، من أحبني فليحب هذين عن الغزالي والفردوس عن الديلمي قال المقدام بن معدي كرب : وقال صلى الله عليه وآله : هما وديعتي في أمتي، ومن ملاعبته صلى الله عليه وآله معهما ما رواه ابن بطة في الإبانة من أربعة طرق، عن سفيان الثوري، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما. وعن ابن نجيح كان الحسن والحسين يركبان ظهر النبي صلى الله عليه وآله ويقولان : حل حل ويقول : نعم الجمل جملكما، وعن السمعاني في الفضائل، عن أسلم مولى عمر قال : رأيت الحسن والحسين على عاتقي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: نعم الفرس لكما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ونعم الفارسان هما، وعن ابن حماد، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله برك للحسن والحسين فحملهما وخالف بين أيديهما وأرجلهما وقال : نعم الجمل جملكما، وفي رواية أبي يوسف الخركوشي في شرف النبي صلى الله عليه وآله، عن عبد العزيز بإسناده، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان جالسا فأقبل الحسن والحسين فلما رآهما النبي صلى الله عليه وآله قام لهما واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه، وقال : نعم المطي مطيكما ونعم الراكبان أنتما وأبوكما خير منكما.

صفاته وألقابه :

كان أشبه الناس برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، واسع الجبين، كثّ اللحية، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، رحب الكفين والقدمين، رجل الشعر، متماسك البدن، أبيض مشرب بحمرة، نشأ في ظل جده الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان هو الذي يتولى تربيته ورعايته لازم أباه أمير المؤمنين (عليه السلام) وحضر مدرسته الكبرى ما يناهز ربع قرن. اشترك في حروب أبيه الثلاث: الجمل، صفين، النهروان، ومن ألقابه عليه السلام، الرشيد، الشهيد، الوفي، الطيب، السيد، الزكي، المبارك، التابع لمرضاة الله، الدليل على ذات الله، السبط، سيد شباب أهل الجنة.

زوجاته وأولاده :

تزوج بليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وشاه زنان بنت كسرى يزدجرد ملك الفرس والرباب بنت امرئ القيس بن عدي وله من الأولاد والبنات، الإمام زين العابدين، علي الأكبر، جعفر، عبد الله، وبناته، سكينه وفاطمة ورقيّه.

حياته مع أخيه :

بايع لأخيه الحسن عليه السلام بعد مقتل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام سنة 40 هـ وبلغ به الاحترام لمقام الإمامة والأخوة ما ذكر الطبرسي عن الإمام الصادق عليه السلام: ما مشى الحسين بين يدي الحسن عليه السلام قط ولا بدره بمنطق إذا اجتمعا تعظيماً له وعاش بعد أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين، كان فيها الإمام المفترض الطاعة على

رأي طائفة عظيمة من المسلمين وسبط الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وريحانته وثاني الثقلين اللذين خلفهما صلّى الله عليه وآله وسلّم في الأمة ـ الكتاب والعترة ـ وسيد شباب أهل الجنة بإجماع المسلمين خرج من المدينة بأهله وصحبه متوجهاً إلى مكة ممتنعاً عن بيعة يزيد وكان خروجه ليلة الأحد ليومين بقيا من شهر رجب سنة 60 هـ وهو يتلو قوله تعالى: فخرج منها خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين دخل مكة لثلاث مضين من شعبان سنة 60 هـ وهو يتلو قوله تعالى: ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وافته كتب أهل الكوفة ووفودهم بالبيعة والطاعة حتى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب

أرسل من مكة ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة سفيراً وممثلاً بلغه أن يزيد بن معاوية أرسل إليه من يغتاله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة خرج من مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ـ يوم التروية ـ سنة 60 هـ بعد أن خطب فيها معلناً دعوته دخل العراق في طريقه إلى الكوفة ولازمه مبعوث ابن زياد ـ الحر بن يزيد الرياحي ـ حتى أورده كربلاء وصل كربلاء في اليوم الثاني من المحرم سنة 61 هجرية وما إن حط رحله بكربلاء حتى أخذت جيوش ابن زياد تتلاحق حتى بلغت ثلاثون ألفاً.

مكارم الأخلاق عند الشهيد :

الكريم السخي:

جاء إلى الإمام الحسين (عليه السلام) أعرابي فقال: يا بن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس. وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له الحسين يا أخا العرب اسألك ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحده

أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل، فقال الأعرابي: أمثلك يسأل مثلي، وأنت من أهل العلم والشرف!؟ فقال الحسين: بلى، سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: المعروف بقدر المعرفة فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلاّ تعلمت منك، ولا قوة إلاّ بالله.فقال الحسين: أي الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله. فقال الحسين: فما النجاة من الهلكة؟ فقال الأعرابي: الثقة بالله. فقال الحسين: فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي: علم معه حلم. فقال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك فقال: مالٌ معه مروءة. قال: فإن أخطأه ذلك؟ فقال: فقرٌ معه صبر. فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فإنه أهل لذلك. فضحك الحسين (عليه السلام) وأعطاه صرّة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه، وفيه فص قيمته مئتا درهم، وقال: يا أعرابي ! أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ذلك وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته قال أنس بن مالك: كنت عند الحسين عليه السلام، فدخلْت عليه جارية فحيَّته بطاقة ريحان فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فقلت تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها ؟! قال: كذا أَدَّبنا الله، قال: وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِاَحْسَنَ مِنْهَاَ أَوْ رُدُّوهَـاَ[سورة النساء: الآية 86] وكان أحسن منها عتقها وجاء إليه أعرابي – فأنشده مقطوعة شعرية بيَّن بها حاجته فقال:

لم يَخِب الآنَ مَن رَجاك ومَن .. حرَّك من دون بابك الحلقه
أنت جوادٌ، وأنت معتمدٌ .. أبوك قد كان قاتل الفسقه
لولا الذي كان من أوائلكم .. كانت علينا الجحيم منطبقه

وكان الحسين يصلي آنذاك فلما فرغ من صلاته، لف على طرف رداء له أربعة آلاف دينار ذهب، وناوله قائلاً:

خذها فإني إليك معتذرٌ .. واعلمْ بأني عليك ذو شفقه
لو كان في سرِّنا الغداة عصاً .. كانت سمانا عليك مندفقه
لكنَّ ريب الزمان ذو غِيَرٍ .. والكفُّ مني قليلةُ النفقه

فأخذ الأعرابي يبكي شوقا، ثم تصعدت من أعماقه آهات حارة، وقال: كيف تبلى هذه الأيدي الكريمة ؟

العابد الزاهد:

كان الحسين (عليه السلام) يحج كل سنة، إلاّ إذا حالت دون ذلك الظروف. وكان يمشي على قدميه إذا حج، وتقاد بجانبيه عشرات الإبل بغير راكب، فيتفقد كل مسكين فقير، صفرت يداه عن تهيئة راحلة للحج فيسوق إليه الراحلة من الإبل التي معه. وكان يصلي كل ليلة ألف ركعة حتى سئل نجله الإمام زين العابدين (عليه السلام): ما بال أبيك قليل الأولاد؟. فأجاب: (إنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة، فمتى يحرث).

وفاته عليه السلام :

قتل عليه السلام شهيداً في كربلاء من أرض العراق عاشر المحرم سنة 61 من الهجرة بعد الظهر مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً. وكان عمره عليه السلام يوم قتل 56 سنة. عاش منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين أو سبع سنين وشهوراً، وقال المفيد سبع سنين ومع

أبيه أمير المؤمنين 37 سنة. ومع أبيه بعد وفاة جده صلى الله عليه وآله 30 سنة إلا أشهراً ومع أخيه الحسن 47 سنة، ومع أخيه بعد وفاة أبيه نحو عشر سنين، وبقي بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام إلى وقت مقتله عشر سنين. لازم أباه أمير المؤمنين عليه السلام وحضر مدرسته الكبرى ما يناهز ربع قرن. إشترك في حروب ثلاث مع أبيه: الجمل، صفين، النهروان، وحُمل رأسه الشريف إلى الكوفة في ليلة الحادي عشر من المحرم وقد حُملت عائلته من كربلاء في اليوم الحادي عشر وجيء بهم إلى الكوفة سبايا ثم حملوا منها إلى الشام، دفنه إبنه زين العابدين في 13 محرم، أما شجاعته فقد أنست شجاعة الشّجعان وبطولة الأبطال وفروسيّة الفرسان من مضى ومن سيأتي إلى يوم القيامة، فهو الذي دعا المنافقين إلى المبارزة فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل مقتلة عظيمة، وهو الذي قال فيه بعض الرواة: والله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرّجالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون من بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، وهو الذي حين سقط عن فرسه إلى الأرض وقد أثخن بالجراح، قاتل راجلاً قتال الفارس الشّجاع يتّقي الرّمية ويفترص العورة. ويشدّ على الشّجعان وهو يقول: أعليّ تجتمعون، وهوالذي جبن الشّجعان وأخافهم وهو بين الموت والحياة، وهو الذي صبر على طعن الرّماح وضرب السّيوف ورمي السّهام حتى وجد في ثيابه وجسده الطاهر مائة وعشرون رمية بسهم و في جسده ثلاث وثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف وكل ذلك في سبيل الله.

الفهـرس

سيرة الرسول الأعظم ﷺ	3
التعريف بأسلاف الرسول ﷺ	5
ولادتـه ﷺ	12
رضاعته وطفولته ﷺ	13
فترة شبابه وعمله ﷺ	14
زواجــه ﷺ	16
أولاد الرسول ﷺ	19
بعثة الرسول ﷺ	20
محاربتـه للشـرك	21
فتح مكـة	25
بعد فتح مكـة	27
مرض النبـي ﷺ	28
الكتاب الذي لم يكتب	29
اللحظات الأخيرة	30
الإمام علي عليه السلام	33
علي في القرآن	34
ولادتـه عليه السلام	40
محبة الرسول لعلي	42
علي يوم بدر	43

علي في مصيبة الزهراء	44
زواج علي بعد فاطمة	49
أزواج الإمام وأولاده	50
علي طريح الفراش	51
علي عليه السلام يفارق الحياة	55
السيدة فاطمة عليها السلام	63
فاطمة المرأة الفاضلة	64
في بيت علي عليهما السلام	69
أجر الرسالة	70
فاطمة على فراش المرض	72
الرسالة الأخيرة	73
الحسن بن علي عليه السلام	75
مولد النور	76
زوجاته وأولاده	78
أوصافه عليه السلام	79
بعد الرسول ﷺ	80
الخيار بين الدنيا والدين	82
نقض العهد	86
مكارم الاخلاق عند الحسين	88
تشييع الحسين عليه السلام	92

الحسين بن علي عليه السلام	95
نسبه عليه السلام	97
ولادته وكراماته عليه السلام	98
صفاته وألقابه	108
زوجاته وأولاده	108
حياته مع أخيه	108
مكارم الأخلاق عند الحسين	109
وفاته عليه السلام	111

المصادر

استقيت المعلومات في هذا الكتاب المبارك من عدة مصادر عديدة ومختلفة، سواءً على مستوى الكتب والمكتبات أو مواقع الانترنت المعتمدة، وعملت على تجميعها وتدقيقها بشكل يضمن للقاريء الإطلاع والإستفادة والتعرّف على السيرة الفاضلة والشمائل العطِرة لآل البيت عليهم الصلاة والسلام، واسأل الله ان يجعل فضل هذا الكتابً خالصاً لوالدينا.